" الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف "
للمجد الفذ شاه ولي الدهلوي

ترجمة وتعليق ودراسة
أ.د/ عبد الوهاب فرحات (*)، و د/ محمد كبير أحمد شودري (**)

ملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين، وبعد.

فقد كتب ولي الله الدهلوي، ترجمة صغيرة الحجم باللغة الفارسية عن سيرته الذاتية، لكنها ذات فوائد غزيرة، سماها ب"الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف"، ونظرا لأهميتها رأينا تعريبها مع ترجمة موسعة للإمام الدهلوي، وإلمامة موجزة عن مآثره التجديدية، التي تجلت في ثلاثة محاور: وهي مجال إحياء الفكر الإسلامي وإصلاحه، ومجال تجديد العمل الديني، ومجال حماية بيضة الإسلام، نسأل الله الكريم أن ينفع بها كل من قرأها.

(*) قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، كلية الشريعة وأصول الدين ، جامعة الملك خالد ـ أبها، السعودية.
abdelouahabferhatlaroussi@gmail.com / aafrhat@kku.edu.sa
(**) قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، كلية الشريعة وأصول الدين ، جامعة الملك خالد ـ أبها، السعودية.
mkshodari@kku.edu.sa

تاريخ الإرسال: 2020/04/13 ▫ تاريخ القبول: 2020/05/07 ▫ تاريخ النشر: 2020/06/01

• معهد العلوم الإسلامية ..... جامعة الوادي •

وتستمد هاته الرسالة أهميتها من أمرين اثنين: أولهما مكانة مؤلفها صاحب الترجمة، فهو من كبار أعلام المسلمين في شبه القارة الهندية، وثانيهما من موضوعها لاحتوائها على إشارات عن برنامج الشاه التجديدي، وخطته الإصلاحية من أجل إصلاح الأوضاع القائمة. وسنحاول في المقدمة التي عقدناها لهاته الرسالة، أن نسلط الضوء على كلا الموضوعين بشيء من التفصيل.

الكلمات المفتاحية: الدهلوي؛التجديد؛ الإصلاح؛ الفكر الإسلامي.

الفصل الأول: عصر الإمام الدهلوي وسيرته:

يعد الإمام "أحمد شاه الدهلوي"[1]، أحد آخر كبار المعلمين في الإسلام، كما يقول محمد إقبال، ويشاركه الرأي العلامة المودودي الذي يقول فيه: "إن الإمام ولي الله – ولا ريب– من زعماء التاريخ الإنساني الذين يعالجون مرتبك الأفكار، ومتشابك الآراء فيجلون غامضها ويحلون معقدها، و يضعون للفكر و النظر الإنساني نهجا واضحا مستقيما "[2].

أولا: عصر الإمام الدهلوي: من المسلم به أن أية محاولة تهدف إلى فهم أعمال

[1]– انظر في ترجمته: عبد الحي الحسني، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، المسمّى ب"**نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**"، ط. بيروت: دار ابن حزم، (د. ت)، ج5، ص858–867 ؛ محمد محسن الترهتي، **اليانع الجني من أسانيد الشيخ عبد الغني**، تح: ولي الديت تقي الدين الندوي، ط. عمان: أروقة للدراسات والنشر2016م، ص 150–173؛ مسعود الندوي، **تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند**، ط1. بيروت: دار العربية (د، ت)، ص 129–206؛ أبو الحسن الندوي، **رجال الفكر و الدعوة في الإسلام (الإمام الدهلوي)**، ط 1. الكويت: دار القلم 1985 م. ج 4، ص 59–129، عبد الحي الكتاني، **معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات**، تح: إحسان عباس، ط 1 بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982 م. ج 2 ص 1119– 1122؛ محمد طاهر، **نيل السائرين في طبقات المفسرين**، ط3. لاهور: مكتبة اليمان باكستان 2000م، ص392–397؛ وهناك عشرات المراجع ذكرناها للباحث المستزيد يجدها في مطوية البحث.

[2]– أبو الأعلى المودودي، **موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه**، ترجمة: محمد كاظم سباق، ط1، باتنة: مكتبة الشهاب 1988م، ص 102.

شخصية ما في فترة محدودة لا تكون مثمرة إذا ما درست بمعزل عن الظروف التي أحاطت بصاحبها، والبيئة التي تربى في كنفها، ذلك لأن البيئة تعرض مؤثرات مختلفة، فيأخذ كل واحد منها بحسب استعداده، وتبعا لتكوينه النفسي، مما يعين على إبراز الشخصية موضوع الدراسة.

1- الأوضاع السياسية والاجتماعية في عصر الإمام الدهلوي:

1- 1-الوضع السياسي: عاش الإمام الدهلوي في عصر كانت الدولة المغولية على وشك الانهيار، حيث بلغت من حالة التضعضع غايته، ومن المعروف تاريخيا أنه حكم الهند في فترة حياة ولي الله (1114هـ 1176هـ)، أكثر من تسعة ملوك، وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على حالة عدم الاستقرار السياسي، حيث بدأت الدول تتداعى على مسلمي الهند لاستئصال شأفتهم، فظهرت دويلات شتى في نواحي دهلي العاصمة نفسها، مما أدى إلى ضعف الدولة المركزية، فلا غرو أن تنقسم إلى عدة دول، ولم يستطع خلفاء "أورنغ زيب عالمكير"، المحافظة على تماسك الإمبراطورية المترامية الأطراف[1]، نتيجة انغماسهم في حياة الدعة والرفاهية، لذلك كانت البلاد فريسة سهلة لأي غاز طموح.

من هذا يتضح أن الناحية السياسية في هذا العصر تحديدا – القرن الثاني عشر- اتسمت بالفوضى حيث كان المسلمون يعيشون التشرذم وداء الفرقة، بالإضافة إلى تربص الأعداء الخارجيين بالأمة من أجل التسلط عليها، وانعكس هذا التراجع والتفكك على الحياة الاجتماعية، وبالتأكيد لم يقف الدهلوي متفرجا على هاته الأوضاع، بل كان واحدا من الفاعلين في صناعة الأحداث، وتوجيهها، حيث تأكد للشاه أن الطريق الصحيح لدحر الأعداء هو تركيزه على إحياء فكرة الجهاد في

[1] – محمد سهيل طقّوش، **تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند**، ط1. بيروت: دار النفائس، 2007م، ص297 وما بعده.

الإسلام في أكثر كتبه، وسعيه المتواصل إلى التوحيد بين المسلمين ، ولذلك ما فتئ يسعى إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية السنيّة.

هذا عرض موجز للأحداث السياسية في شبه القارة الهندية، ومن خلاله يتبين بوضوح حالة الدولة المغولية التي عاش في كنفها ولي الله الدهلوي، وهيالدولة المنهارة القوى بسبب كثرة الحروب التي مزقت أوصالها.

1-2- الوضع الاجتماعي: تحدثنا سابقا عن الأوضاع السياسية، وقلنا إن عصر الشاه تميز بحدة الاستقطابات السياسية، وعدم الاستقرار، مما انعكس أثره على الأوضاع الاجتماعية، إذ الانحلال السياسي في أحيان كثيرة يصبح مقدمة للفساد الاجتماعي والفوضى.

ويبدو أن الانغماس في حيلة الترف كان عاما عند ملوك المغول اللّهم إلا بعض الاستثناءات، وما مزار "تاج محل" الذي بناه "شاه جهان، والذي يُعَدُّ من أعجب ما اشتمل عليه العالم من مباني، من أجل أحبِّ زوجاته لديه وأعزهن عليه، إلا شاهد صدق على ما نقول، ويبدو أن هذا الترف والتأنق لم يكن مقصورا على الطبقة الارستقراطية فقط، بل امتد إلى عامة أهلها، حيث انهمكوا في حياة الإسراف، والمصاريف التي لا معنى لها.

كما تسرب إلى المسلمين عدد غير قليل من التقاليد والعادات من مجاوريهم الهنود، والهند كما هو معرف تضم خليطا عجيبا متباينا من الأجناس والأديان والعادات، كما تأثر البلاط المغولي بالتشيع والرفض وبخاصة في عهد "همايون" الذين استعان بالصفويين من أجل استراد ملكه، ولم يزل نفوذ الشيعة يزداد يوما فيوما، حتى قويت شوكتهم في عهد الملك "بهادر شاه الأول" المتوفى (1124هـ) الذي أعلن تشيعه من دون مواربة، فوجد علماء الشيعة الفرصة سانحة لبث عقائدهم، ونشرها في الآفاق،

والتشكيك في خلافة الخلفاء، والنيل من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والناس على دين ملوكهم كما يقولون.

أما طبقات المجتمع فقد انقسمت إلى طبقتين متميزتين عن بعضهما تمام التميز: طبقة الملوك والأمراء، ورجال البلاط وعائلاتهم، حيث كانوا يعيشون حياة الرفاهية والتنعم، أما الطبقة الثانية فهي طبقة الفلاحين والزراع، وأصحاب الحرف، وهذا ما نتبيَّنه من أحد خطابات الإمام الدهلوي للأمراء وأركان الدولة حيث يقول لهم فيه: "أيها الأمراء! أما تخافون الله اشتغلتم باللذات الفانية الزائلة وتركتم الرعية تأكل بعضها بعضًا أما شُربت الخمر جهرة، وأنتم لا تنكرون، أما بُنيت منازل ودور للزنا وشربت الخمور، والقمار وأنتم لا تغيرون... من وجدتموه ضعيفا أكلتموه ومن وجدتموه قويا تركتموه وعتوّه، خاضت أفكاركم في لذائذ الطعام، ونواعم النساء، ومحاسن الثياب والدور، وما رفعتم إلى الله رأسا وما ذكرتموه "[1].

ولقد ترتب عن هذا الاضطراب الاجتماعي والسياسي، اضطراب النواحي الاقتصادية إذ أن خزينة الدولة لابد أن تتأثر بهذه الاضطرابات التي تؤدي غالبا إلى فساد الأخلاق، وفشو الظلم والجور، وهذا ما تنبه إليه الدهلوي، ونبه إليه بقوله:" سبب خراب البلدان في هذا الزمان شيئان: أحدهما تضييقهم على بيت المال... والثاني ضرب الضرائب الثقيلة على الزراع والتجار والمتحرفة... وإنما تصلح المدينة بالجباية اليسيرة، وإقامة الحفظة بقدر الضرورة، فليتنبه أهل الزمان لهذه النكتة "[2].

نستنتج مما سبق أن العاملين السياسي والاجتماعي لا ينفكان عن بعضهما، وأحدهما يؤثر في الآخر، وبسبب الصراعات والحروب تختل المنظومة الاجتماعية، وبما

[1] – ولي الله الدهلوي، **التفهيمات الإلهية**، ط1. دابهيل: منشورات المجلس العلمي 1935م. ج1، ص216.
[2] – ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، تح: سعيد أحمد البالنبوري، ط3. دمشق:دار ابن كثير2017م، ج1، ص164.

أن الأوضاع السياسية لم تشهد استقرارا في عهد الدهلوي، فإن الجانب الاجتماعي، شهد أيضا اختلالات غير مسبوقة.

2- الأوضاع الفكرية والروحية في عصر الإمام الدهلوي:

2- 1- الوضع الفكري: إن العالم الإسلامي بصفة عامة وشبه القارة الهندية بخاصة قد أثقل جانبها العلمي علوم المنطق، وفلسفة اليونان، وغلب فيها الذوق الفارسي المتأخر، واضمحلت فيها دراسة علوم الكتاب والسنة، وسيطر على الفقهاء في تلك الفترة الجمود الفكري والاكتفاء بالموروث العلمي القديم، وعدم التجدد في البحث العلمي والديني والتجريبي على حد سواء.

ويصور لنا الشيخ الإمام الأوضاع الفكرية في عهده أحسن تصوير فيقول: "أما هذا الوصي، فإنه وجد في زمان شاع فيهم ثلاثة أشياء: **البرهان** وذلك لاختلاط علوم اليونانيين، واشتغال القوم بالكلام حتى لا يكاد يوجد كلام في العقائد إلا ممزوجا بمناظرات برهانية.

الوجدان وذلك لاجتماع الناس شرقا وغربا على قبول الصوفية وانقيادهم لهم حتى كأن أقوالهم وأحوالهم أغلق بقلوبهم من الكتاب والسنة، وكل شيء، وحتى دخلت رموزهم وإشاراتهم في الناس. فمن أنكر رموزهم وإشاراتهم، أو كان منهم على جانب، فإنه لا يقبل ولا يعد من الصالحين وما من واعظ على رؤوس المنابر إلا وكلامه ممزوج بإشارات الصوفية وما من عالم يعلم الناس إلا وهو يعتقد كلامهم، ويأمل فيه، أو هو من أصحاب الطبيعة كالبهائم. وما من نادي من أندية الأمراء وغيرهم إلا وعرضه ألسنتهم، وبذلت أيديهم وفاكهة محافلهم أشعار الصوفية ونكاتهم.

والسمع وذلك لدخولهم في الملة الإسلامية. ونشأ في زمان اتبع فيه كل ذي رأي

رأيه، ولن تر فيه أحدا يقف على المتشابهات، وما أشكل عليه من العلم، ولن تر أحدا إلا ويخوض في فهم معاني الأحكام وأسرارها، ويميل في ذلك إلى المعقول، وصار لكل رجل مذهب حسب ما فهمه، وتجادلوا وتناظروا وتباحثوا ولم يمكن الاتفاق والاصطلاح أصلا. واختلفوا في أنواع الفقه منهم الحنفي ومنهم الشافعي وكل يتعصب لأصحابه وينكر على الآخرين، وكثرت التخريجات في كل مذهب، وخفي الحق"[1].

هذه حال الأوضاع الفكرية في البيئة التي نشأ فيها المحدث الدهلوي. وهي أوضاع بالغة السوء تتسم بغلبة الجهل، واستحكام داء العصبية المذهبية، وستتبين معالمها أكثر عند دراستنا للأوضاع الفكرية والروحية.

2-2- الوضع الروحي: أما الأوضاع الروحية فتبدو فيها غلبة التصوف وهذا ما يتبين بالفحص في مؤلفات الدهلوي إذ من خلالها يظهر لنا مدى تغلغل التصوف البدعي وانتشاره في المجتمع الهندي، وقد حاول الإمام بكامل قواه تطهير بيئته من تلك الأدران، وفي هذا المعنى يقول:"وإن شئت أن ترى نموذجا لهؤلاء الفريق (النصارى)، فانظر اليوم إلى أولاد المشايخ والأولياء، ماذا يظنون بآبائهم ؟وإلى أي حد وصلوا بهم!"[2]

في هذا العصر الملبد بالغيوم، ظهر ولي الله، ليجدد للأمة أمر دينها، ليضرب بذلك مثلا رائعا في كيفية إعداد جيش العلم والإيمان، بعد ما انهزم جيش الملك والسلطان.

ثانيا: سيرة الإمام الدهلوي: نشأ ولي الله في كنف أسرة ذات علم وفضل، كان

---

[1]- ولي الله الدهلوي، **التفهيات الإلهية**، ج1، ص82-83.

[2]- ولي الله الدهلوي، **الفوز الكبير في أصول التفسير**، تح: سعيد البالنبوري، ط 1 دمشق: دار الغوثاني 2008م، ص37.

جدها الأعلى المفتي شمس الدين هاجر إلى الهند في القرن السادس، واستقر بها ثم تسلسلت ولاية الإفتاء في أعقابه، إلى أن انتهت إلى أبي صاحب الترجمة "الشيخ عبد الرحيم"في القرن الحادي عشر، الذي كان من وجوه مشايخ دلهي وأعيانها، ولمكانته العلمية هذه، اختير ضمن العلماء المعدودين الذين أسندت إليهم مسئولية تقنين الفقه الإسلامي، حيث شارك في إعداد "الفتاوى الهندية"، المنسوبة إلى الملك الصالح "أورنك زيب عالمكير"(ت 1118هـ).

1- اسمه ولقبه ونسبه وأسرته:

1-1-**اسمه ولقبه ونسبه**:أحمد و هو الاسم الذي عرف به، أما اسمه الثاني فهو "قطب الدين"، وذلك لأن أحد الصالحين واسمه "قطب الدين بختيار الأوشي" بشر به أباه في رؤيا صالحة، وطلب منه أن يسميه باسمه[1].

أما كنيته: فهو "أبو محمد" نسبة إلى ولده الأكبر، أما لقبه، فهو الشاه، وهي كلمة فارسية تعني الملك، كما كان يلقب ب"ولي الله".

أما نسبته، فهي الدِّهْلَوي، نسبة إلى "دهلي" عاصمة الهند، أما نسبه فقد ذكر الدهلوي نفسه أنه عربي النسب[2]، وذكر في أغلب تصانيفه أن سلسلة نسبه تصل إلى عمر بن الخطاب الخليفة الراشد[3].

أما نسبه من جهة أمه، فيرجع إلى الشيخ محمد الفلتي الذي ينتهي نسبه إلى موسى

[1] – ولي الله الدهلوي، **التفهيمات الإلهية**، ج2، ص138.

[2] – ولي الله الدهلوي، **المقالة الوضيئة في النصيحة والوصية**، تر: بشير السيالكوتي، ضمن كتاب **الإمام المجدد المحدث – الشاه ولي الله الدهلوي – حياته ودعوته**، ط1. بيروت: دار ابن حزم، 1999م، ص208.

[3] – ينظر: محمد بشير السيالكوتي، **الإمام المجدد المحدث – الشاه ولي الله الدهلوي–** ص17.

الكاظم -رضي الله عنه-[1]، وتذكر كتب التاريخ أن والدته كانت من النساء الفضليات، وأنها رزقت ابنين فاضلين هما:إمامنا الذي نترجم له، والشيخ "أهل الله".

1-2- أسرته: تُعَد أسرة الإمام الدهلوي، من أعرق بيوتات الهند شرفا ورفعة، وأول من قدم من هذه الأسرة إلى الديار الهندية، هو المفتي شمس الدين، وهو الجد الثالث عشر للإمام، وقد أنجبت هاته الأسرة على مرِّ التاريخ رجالا، تجملت بهم الدنيا وكتب التاريخ.

تربى الصبي في كنف والده، فحفظ القرآن الكريم، وهو في السابعة من عمره، كما تعلم عنده اللغتين الفارسية والعربية، كما تلقى العلوم الشرعية من فقه وحديث. . . والعلوم الحكمية أيضا من فلسفة، وطب ومال إلى التصوف بحكم التنشئة، والتأثر بالوالد حتى أوشك هو أن ينشأ على صناعة أبيه.

2- مولده ونشأته العلمية وأساتذته:

2-1 - الميلاد: ولد الشاه الدهلوي وقت طلوع الشمس يوم الأربعاء الرابع عشر من شوال سنة (1114هـ)[2]، - في عهد الإمبراطور "عالمكير" الذي توفي بعد ولادته بأربع سنين- ببلدة " فُلْت "، وهي قرية صغيرة مشهورة بعلمائها، وذكر الدهلوي في كتابه " الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف": إن والده رأى مبشرات قبل ولادته[3]، وكان والده في الستين من عمره عندما ولد الصغير ولي الله.

---

[1] - المرجع السابق، ص17.

[2] -ذكر عبد الحي الكتاني أنه ولد في عام 1110هـ وهذا خطأ محض. أنظر: عبد الحي الكتاني، **معجم المعاجم و المشيخات والمسلسلات**، ج1، ص178. لكن المؤلف استدرك هذا على نفسه في نفس الكتاب ينظر: ج2، ص1119.

[3] - ينظر: الدهلوي، **الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف**، وهو الكتاب الذي نقدم لترجمته الآن.

2-2- نشأة الإمام الدهلوي وأطوارها:

الطور الأول: في هذا الطور أدخله أبوه الكتاب وهو في سن الخامسة على عادة أطفال المسلمين الهنود، فحفظ الطفل النجيب القرآن الكريم في أواخر السابعة من عمره، ثم بدأ وهو بين الصبا واليفاعة قراءة الكتب المقررة في الهند في ذلك العهد، كالتوحيد والنحو والفقه والأصول والتفسير والمنطق والطب والحديث والحكمة والهيئة والحساب، وآداب السلوك وعلم الحقائق، بالفارسية والعربية، قرأ هذه الفنون كلها عن والده، فكان هو شيخه الذي تخرج على يديه، والشجرة الطيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

ومن أبرز شيوخ الدهلوي في هذا الطور المحدث العلامة "محمد أفضل السيالكوتي" حيث أجازه في صحيح البخاري، وغيرها من الصحاح، كما أجازه أيضا في مشكاة المصابيح.

وفي هذا الطور يتزوج الدهلوي وهو في سن أربعة عشر عاما من "أمة الرحيم" بنت خاله الشيخ "عبيد الله الصديقي الفلتي"، شقيقة "محمد عاشق الفلتي"، صاحب الشيخ الأجل، عاشت معه إحدى وعشرين سنة، وأنجبت له ابنا سمي "محمدا"، وبنتين، لكن بعد وفاة زوجته الأولى في سنة (1149هـ)[1]، تزوج الدهلوي بكريمة السيد "ثناء الله السوني بتي" المسماة "السيدة أرادت"، حيث أنجبت له بنتين، وأبناءه الأربعة المعروفين[2].

ودرَس في هذا الطور أيضا على يد الشيخ "محمد فاضل السندي"، وهو من أئمة الحديث والتفسير في دهلي، وروى عنه الإمام صحيح البخاري، والترمذي قبل سفره

---

[1] – محمد محسن الترهتي، **اليانع الجني من أسانيد الشيخ عبد الغني**، ص 144.

[2] – عبد الحي الحسني، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، ج7، ص 1027.

إلى الحجاز. ولما انتهى الدهلوي من قراءة العلوم المتداولة في الهند حصل من والدة على إجازة التدريس، وكان ذلك قبل وفاته، وكان في عمره إذ ذاك سبعة عشرة عاما، عندها بدأ الدهلوي بالاشتغال بالتدريس والإفادة في مدرسة والده المشهورة والتي تدعى "بالرحيمية"، واستمر في العطاء العلمي أكثر من اثنتي عشرة سنة، ثم اشتاق إلى زيارة الحرمين الشريفين، فرحل إليها سنة ثلاث وأربعين ومئة وألف"[1]. وبهذه الرحلة المباركة ينتهي هذا الطور.

الطور الثاني: ويبدأ من العقد الثالث من عمره، وفي هذا الطور حج الشاه إلى بيت الله الحرام وكان ذلك في أواخر(1143هـ)، وبقي هناك أكثر من حولين، وفي هاته الأثناء انتهز الشاه الفرصة للتزود من علم الحديث، فقرأ الصحيحين والسنن (ما عدا النسائي)، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، كما درس الأدب المفرد للبخاري، والشفا للقاضي عياض، ورسالة الإمام الشافعي في الأصول، وكانت الإجازات التي تحصل عليها من شيوخ الحرمين وبخاصة من "أبو طاهر الكوراني"، حلقة تتصل بواسطتها سلسلة الإسناد في الهند من بعده، إلى أصحابها المصنفين. ولَنِعمَ ما قال فيه شيخه أبو طاهر: "إنه كان يُسْنِد عني اللفظ، وكنت أصحح منه المعنى"، وكان ذلك في سنة (1144هـ)[2].

كما حضر مجلس الشيخ "تاج الدين القلعي الحنفي"، مفتي مكة، في الحديث، حيث تلقى منه صحيح البخاري، وأطراف الكتب الستة، و موطأ الإمام مالك، ومسند الدارمي، وكتاب الآثار لمحمد، وأخذ الإجازة عنه لسائر الكتب [3].

---

[1] – المرجع نفسه، ج 5، ص858.

[2] – محمد محسن الترهتي، **اليانع الجني من أسانيد الشيخ عبد الغني**، ص 154.

[3] – بنظر: عبد الحي الحسني، **الإعلام بمن في الهند من الأعلام**، ج 5، ص859.

كما التقى الشيخ المحدث، "وفد الله الرداني" المغربي المالكي حيث انتفع به كثيرا، وقرأ عليه موطأ الإمام مالك من أوله إلى آخره، وأسند أيضا على "عمر بن أحمد السقاف "وذكر الدهلوي نفسه أنه سمع عليه أطراف الكتب السنة وغيرها، وأجازه إجازة عامة[1].

ولم يكتف الدهلوي بتحصيل الإجازات العلمية فقط، بل اطلع على كثير من الكتب منها كتب شيخ الإسلام "ابن تيمية"، وأعجب به، وتأثر به في الدفاع السنة، وكان الشاه يثني عليه خيرا.

وتعد هاته الرحلة أهم محطة في حياة الدهلوي حيث دفعته فيما بعد إلى تدريس الكتب الستة في الحديث، حتى أصبح علما مفردا في الديار الهندية، كما دعته إلى إعادة النظر في المنهج العلمي المتوارث. وهذا شيء طبيعي لاستفادته من مناهج وطرق متعددة في التعليم. بل دعته إلى القيام بإصلاح شامل لتجديد دين الأمة. ومما قوى نفسه على الإقدام على هذا العمل مبشرات رآها وهو في الحرمين الشريفين[2].

الطور الثالث: ولما آنس الشاه من نفسه رشدا، شمر على ساعد الجد لنشر العلم، وبثه بين الناس تدريسا وتأليفا، وربما كان يأمل لبعد نظره أن انتشار التعليم بين الطبقات الأمة سينتج عنه أحلاس الفكر والعمل الذين يجاهدون في سبيل الله لإصلاح الأحوال الاجتماعية، لذلك ركز الشاه ولي الله جهوده على إصلاح الفكر بالتآليف النافعة، وتعديل المنظومة التعليمية، وإعداد جيل جديد من العلماء البارعين،

---

[1] – ولي الله الدهلوي، **إتحاف النبيه فيما يحتاج إليه المحدث والفقيه**، تح: محمد عطاء الله الفوجياني ط1. لاهور: المكتبة السلفية 2003م. ص 76-77.

[2] – ينظر: ولي الله الدهلوي، **فيوض الحرمين مع أردو ترجمة سعادت كونين**، تر، ذاكر عبد الجبار عابد لغاري، ط1. حيدر آباد 2007م، ص27؛ ولي الله الدهلوي، **الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين**، تحقيق: محمد عاشق إلهي البرني المدني، ط1. ديبوند: دار الكتاب: 1418هـ، ص153.

ولقد صدق فيه ما قاله عنه محمد إقبال: "رغم العواصف الهوجاء، يشتغل ذلك الرجل البطل الذي وهبه الله تعالى، عزة الملوك وإباء السلاطين"[1].

لكن أبلغ مآثره وأعماله الجليلة في هذا الطور اشتغاله بالتربية والتسليك الباطني، من أجل تعميق حقيقة الإيمان في النفس، وإيجاد إنسان جديد قادر على القيام بمهام الخلافة، حيث استطاع الشاه أن ينشئ جيلا من العلماء والربانيين، والمرشدين في جميع مناشط الحياة، تولوا من بعده زمام القيادة والتوجيه، إلا أنه لم يصرف نظره تماما عن الميدان السياسي، بل بذل كل ما في وسعه لوضع حد للفساد المستشري، وسيلته في تغيير الأوضاع السياسية لسانه وقلمه، آخذا في ذلك بمنهج سلفه الإمام "أحمد السرهندي" الذي كان شعاره "إيصال رسالة الإسلام إلى الحكام المسلمين، لا الوصول إلي كراسي الحكام.

وقد كان لمساعيه صدى في أوساط الحكام، لكن الشاه ولي الله، قدر في نفسه أن الهرم إذا نزل بدولة لا يرتفع، كما قال ابن خلدون[2]، فرمى ببصره إلى الخارج عسى أن يجد من الملوك المسلمين من يهب لنصرة الإسلام في الهند، فاختار من بينهم "أحمد شاه الابدالي" الحاكم الأفغاني يدعوه فيها إلى الجهاد في أرض الهند ، وفي هذا المعنى يقول الدهلوي: "لا أحد يتمتع بقوة الشكيمة والسلطة والنفوذ، وبعد النظر والخبرة والمراس في الحرب، ويتمكن من دحر الأعداء سواكم، فمغادرتكم إلى الهند لفرض عين عليكم لكبت العدو (المراهتة) وإنقاذ المسلمين المستضعفين من براثن غير المسلمين"[3] .

---

[1] – سيد حسين العفاني، **زهر البساتين من مواقف العلماء الربانيين**، ط1. القاهرة: دار العفاني، (د، ت). ج2، ص149-150.

[2] – ابن خلدون، **المقدمة**، عبد السلام الشدادي، ط1. نشر بيت الفنون والعلوم والآداب، 2005م. ج1، ص298.

[3] – نقلا عن: محمد طاهر الندوي، **الفكر القرآني في رسائل الإمام ولي الله**، مقال منشور ضمن كتاب، **شاه ولي الله**

وقد لبى "أحمد شاه أبدالي" نداء الشاه ولي الله، وجهز عرمرما، كان ذلك عام (1174هـ)، -أي قبل وفاة الإمام الدهلوي بسنتين- لمقاتلة المراهتة، بعدما أكثروا الفساد في الأرض، فنازلهم " أحمد شاه أبدالي " في موقعة "باني بت"، وقتل منهم أكثر من ثمانية وعشرين ألفا، وأسر أكثر من اثنين وعشرين ألفا، حتى قال أحد المؤرخين: " لقد طارت قوة المراهتة في لمحة البصر كالكافور"[1].

وبقي الشاه ولي الله وفيا لوظيفته الأولى ألا وهي الإشراف على التدريس وترويج العلوم الشرعية وبث التعاليم الإسلامية بين شعوب شبه القارة الهندية لتهيئة الجو اللازم للعمل بالروح الدينية الخالصة إلى أن وافاه الأجل المحتوم. وكان ذلك منطلقا لدعوة إسلامية بعثها في شبه القارة الهندية.

3- دنو الأجل ووفاة الشيخ الدهلوي:

وبعد حياة حافلة بالجد والاجتهاد انتقل الإمام الدهلوي إلى الرفيق الأعلى تشيعه أنواع الحفاوات والتكريمات، وكان ذلك في يوم السبت، (29 من المحرم 1176 هـ)، بمدينة دهلي، فدفن بجوار والديه في مقبرة "مهنديان" خارج بلدة دهلي، وعمره اثنتان وستون سنة.

4- أبناؤه الأمثال:

رزق الإمام الدهلوي بنين بررة شمروا عن ساق الجد والاجتهاد لنشر علم الحديث الشريف، فنفع الله بعلومهم خلقا لا يحصون، ويذكر علامة الهند الكبير صديق حسن خان، أن أبناء الإمام الدهلوي "الكرام قد رجحوا علم السنة على غيرها

دهلوي كي قرآني خدمات، ترتيب وجمع: بروفيسور محمد ياسين مظهر صديقي مع ظفر الإسلام، ط1. على أكرا: منشورات إدارة علوم إسلامية 2013م، ص216.

[1] - سيد حسين العفاني، **زهر البساتين من مواقف العلماء الربانيين**، ج2، ص144.

من العلوم، وجعلوا الفقه كالتابع له والمحكوم، وجاء تحديثهم حيث يرتضيه أهل الرواية، ويبغيه أصحاب الدراية، شهدت بذلك كتبهم وفتاويهم، ونطقت به زبرهم ووصاياهم ومن كان يرتاب في ذلك فليرجع إلى ما هنالك "[1]، نذكر منهم:

4-1-الشيخ الشاه محمد: كان عالما عاملا، عابدا محبا للعزلة، أخذ عن والده العلم ولازمه، لكن بعد وفاة والده انتقل إلى قرية "برهانة"، ولبث فيها إلى أن توفي عام 1208 هـ [2].

4-2-الشيخ عبد العزيز: هو العلامة المحدث الملقب ب"سراج الهند"، ولد سنة(1159هـ)، وتتلمذ على يد والده، وكثير من تلاميذه مثل الشيخ "نور الله البرهانوي" الذي تفقه عليه، وتزوج بنته، والشيخ "محمد عاشق البهلتي"، حيث استفاد منهم واستدرك مافاته من علم والده، انتهت إليه رئاسة العلوم الدينية في الهند، كان أحد أفراد الدنيا بعلمه وأخلاقه وذكائه حتى صار علما مفردا في الديار الهندية، اشتغل بالتدريس وعمره خمسة عشر عاما، توفي عام (ت 1239هـ)، ودفن بجوار والده[3].

4-3-**الشيخ رفيع الدين عبد الوهاب:**العلامة الأصولي، ولد عام(1163هـ)، قرأ العلوم على صنوه الشيخ عبد العزيز، وتلقى التربية الروحية على يد الشيخ "محمد عاشق الفلتي" صاحب والده الأجل، تولى التدريس والإفادة كشأن شقيقه الشاه عبد العزيز، وعرف بالنبوغ في العلوم النقلية والعقلية، وهو صاحب"ترجمة القرآن" بالأردو وهي ترجمة حرفية للقرآن لأنه ترجم كل كلمة بما يقابلها، وله في والتصوف

[1] – صديق حسن القنوجي، **الحطة في ذكر الصحاح الستة**، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م، ص 146.
[2] – عبد الحي الحسني، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، ج7، ص 1086.
[3] – المرجع نفسه، ج7، ص1014- 1018.

العالي "دمغ الباطل"، وله تخميس على قصيدة والده الشاه في المدح، وله قصيدة طويلة بلغت 116 بيتا عارض فيها القصيدة العينية لابن سينا، يتبين من خلالها جلالته في العلوم الحكمية [1]، توفي عام (ت 1233هـ)[2].

4-4-الشيخ عبد القادر: هو الإمام المفسر المحدث، ولد عام (1167هـ)، تلقى علومه على يد صنوه عبدالعزيز، وتلامذة والده، أما شيخه في التربية الروحية فهو عبد العدل الدهلوي، بدأ التدريس والإفادة وعمره عشرين سنة، كان عالما جليلا، عرف بالصلاح والتقوى، والجد في العبادة، وهو الذي ربىّ إسماعيل الشهيد، ابن عبد الغني، من تآليفه" ترجمة معاني القرآن " إلى اللغة الأوردية، وسماها "موضح القرآن في تفسير القرآن" تتبع فيها منهج والده، وأسلوبه في الترجمة الفارسية، حيث نص العلماء أنه نقل هذه الترجمة الفارسية إلى اللغة الأردية الفصحى[3].

توفي عام (ت 1230هـ)، بدلهي، ولقد حظيت كتبه بالقبول عند فحول العلماء، وبخاصة تفسيره للقرآن الكريم حيث غدا نموذجا ينسج على منواله من أراد ترجمة معاني القرآن الكريم[4].

4-5-الشيخ عبد الغني: كان على طريق إخوته في التدريس والإرشاد، كان كثير الشبه بوالده في الخلق والخلق، توفي عام(1203هـ)، ومن تآليفه رسالة في " تحقيق الحجاب"؛ وله بالأوردو "تقرير الصلاة"، ومن أبنائه الشيخ إسماعيل صاحب كتاب "رد الإشراك" و"تقوية الإيمان". و"العبقات".

---

[1] – نعمان خير الدين الألوسي، جلاء **العينين في محاكمة الأحمدين**، تح: الداني آل زهوي، ط1. بيروت: المكتبة العصرية، 2006م، ص159-163.

[2]– ينظر في ترجمته: عبد الحي الحسني، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، ج7، ص974-976.

[3] – عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، **جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم**، ص13.

[4] – انظر في ترجمته: عبد الحي الحسني، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، ج7، ص1027.

ثالثا- شخصية الإمام الدهلوي وآثاره: كان الشاه ولي الله عالما فذا، ومحدثا بلغ شأوا كبيرا في هذا الفن، أما علم المقاصد فله فيه اليد الطولى، وكتابه "حجة الله البالغة" شاهد صدق على ما نقول، بالإضافة إلى كونه مصلحا سياسيا واجتماعيا، ومجددا دينيا. قال عن نفسه:"ومن نعم الله علي ولا فخر، أن جعلني ناطق هذه الدورة وحكيمها، وقائد هذه الطبقة وزعيمها"[1].

1-**صفات الإمام الدهلوي وأخلاقه:** إن التأثير العميق الذي خلفه الإمام الدهلوي فيمن جاء بعده من الأجيال، والذي لا يزال يبصر لحد الآن، كجذوة نار يصطلي منها الباحثين، وأرباب الذوق والعرفان، وقادة الجهاد، رغم ما مضى عليه من تعاقب السنون، ليدل دلالة واضحة على أن السر في بقائه وخلوده، يرجع إلى ما تمتاز به شخصية صاحبها من مؤهلات، وما حباه الله به من خصائص علمية وعملية، بوأته المكانة التي يستحقها في تاريخ أمتنا الفكري والروحي.

1-1- علو الهمة: ومما امتاز به الإمام الدهلوي علو الهمة في طلب العلم، والرحلة من أجله، وتحمل التعب والمشاق في سبيله، وقطع المسافات من أجل رواية الحديث الصحيح والإسناد العالي، ثم في سبيل تبليغ الأحكام الشرعية، ونشر العلم الديني في البلدان المختلفة، والأصقاع النائية. ومن علامات علو همته أنه كان يسعى لإحداث انقلاب فكري في ذوق الأمة، وتغيير جذري شامل في عقول الناشئة. بل وضع حد للفساد المستشري في شبه القارة الهندية. وذلك بإعداد جيل يحدث انقلابا إسلاميا لأنه أدرك أن لا فائدة ترجى من الأسرة التيمورية المالكة لأنها نخرها البلى، وفتَّ في عضدها الهرم.

1-2- التحصيل العلمي: المتأمل في التراث العلمي الذي خلفه الشاه ولي الله، يجد

[1]- ولي الله الدهلوي، **التفهيمات الإلهية**، ج1، ص124.

أن الرجل له علم بالكتاب والسنة، كما يشعر أن الرجل له دراية واسعة بأصول الدين وفروعه، أما أسرار الشريعة، وحكمها ومقاصدها، فقد نال منها القدح المعلّى، كما لم يفت الرجل النظر الناقد في كتب السيرة والتاريخ، حيث نظر فيه نظرة فاحصة، مميزا بين الإسلام وبين تاريخ المسلمين، كما أدرك بثاقب فكره العوامل التي تفت في عضد الدولة الإسلامية، وحدد عوامل النخر وأرجعها إلى استيلاء الجمود على التفكير، وانطفاء جذوة الاجتهاد.

1-3- الاستقلال الفكري: حيث يلحظ الدراس في كتبه بأدنى نظر نزعة التحرر من الجمود والتقليد، فكان من كبار المجتهدين لا يتقيد بمذهب معينّ، بل يتبع الحق أنى وجده، ولعل هذا ما كان ملحظا للعلامة محمد الفاضل بن عاشور فقال عن مسلكه هذا:" ولكن اثنين ارتفعا ارتفاعاً فائقاً إلى مقام الاجتهاد، أولهما من الهند وهو ولي الله الدهلوي، وثانيهما الإمام الشوكاني، فهذان هما اللذان استقلا بالنظر في المسائل استقلالاً تاماً شاملاً، وجددا معاني الأصول ومعاني الأحكام"[1].

كما يلمح المتملي في كتابات الرجل تلك الروح المنفتحة على ثقافة عصرها، سواء كانت فلسفية أو عمرانية أو سياسية، وعلى ما يجد في العالم من تطورات تقتضيها سنة الحياة، ونظن أن هذا الانفتاح العقلي، والمرونة الفكرية هي التي مكنته من اكتشاف نظريته في "الارتفاقات ".

1-4 - الوصل بين الفكر والعمل:ومن صفات الإمام المجدد أنه لم يعش في برج عاج مشتغلا بالتأليف والتنقيح، كعادة علماء كثيرين الذين اكتفوا بالفكر وهجروا ساحة الواقع التجريبي؛ مما جعلهم يفقدون صلتهم بالواقع. ولكن الإمام الدهلوي نجده رجلا واقعيا وعمليا إلى حد النخاع، ندرك ذلك من رسائله ونصائحه للملوك

[1] – يوسف القرضاوي، **الاجتهاد في الشريعة الإسلامية**، ط1. دار القلم: الكويت 1996م، ص95.

والأمراء، حيث بعث لهم برسائل مطولة ليوقظهم من سباتهم، وينير أمامهم السبل لإنقاذ البلاد والعباد وقد كان لمساعيه صدى في أوساط الأمراء والحكام.

وهكذا لم يعش الإمام المصلح منكبا على كتبه فحسب، منشغلا بالتحرير والتحبير على أهميتهما، ولكنه كان مفكرا عضويا بتعبيرنا المعاصر يعيش أمال مجتمعه وآلامه، الذي يعاني من داء الفرقة والضائقة الاقتصادية، والخلل الاجتماعي، والفساد الخلقي محاولا قدر جهده التخفيف من الويلات التي حاقت بهم.

1-5-الاعتدال والوسطية: وهي أبرز خصيصة في شخصية الدهلوي، وتتبدى هاته الخصلة، كأوضح ما يكون في أربع مستويات:

أولا- في مستوى التزام ظاهر النص وتأويله: حيث نلمح هذه الوسطية في باب الأسماء والصفات حيث كان رأيه وسطا بين اللفظيين والمؤولين وكان شديد التركيز على أن يتمسك بما كان عليه الرعيل الأول، وهذا ما بينه بقوله في "المقالة الوضيئة في النصيحة والوصية" التي جاء فيها: و"أوصى بالتمسك بعقيدة أهل السنة الأولين والابتعاد عن الخوض في تفصيل ما لم يفصلوه، وألا يلتفت إلى ما يثيره العقلانيون الأغرار من الشكوك والشبهات"[1].

ثانيا- في مستوى الاجتهاد والتقليد: حيث كان رأيه وسطا بين الاتباع والاستقلال وهذا ما يلحظه الدارس في مواضع من مؤلفاته حيث ذم التعصب الشديد للمذاهب، وبخاصة عند وجود الدليل من الكتاب والسنة، مع أنه كان يرى ضرورة التمذهب، وفي هذا يقول: "واعلم أن في الأخذ بهذه المذاهب الأربعة مصلحة عظيمة وفي الإعراض عنها كلها مفسدة كبيرة"[2].

---

[1] – ينظر: ولي الله الدهلوي، **المقالة الوضيئة في النصيحة والوصية**، ص201 وما بعده.
[2] – المصدر نفسه، ص204.

وهكذا كان موقف الدهلوي موقفا معتدلا متوسطا بين الفريقين حيث كان يرى أن العامي من الناس مذهبه مذهب مفتيه، أما المجتهد الذي تكاملت لديه أدوات الاجتهاد، فلا يرى له التقليد.

ثالثا- في مستوى التجربة الروحية: كما تتجلى هذه الوسطية أكثر في نظراته في التصوف، حيث حذَّر – رحمه الله- من الإفراط في التوغل في مقام الفناء، والانسلاخ والاستهلاك، وترك أمور المعاش، وإنما يرى أن هذه المقامات مقصورة على الخاصة، ومن لهم استعداد على ذلك، وليست لعامة الخلق[1].

رابعا- في موقفه من الصحابة: كما تبرز هذه النزعة أكثر في موقفه من الصحابة حيث يقول:"إن يحسن الظن والاعتقاد بأصحاب رسول الله ﷺ وأن لا يجري اللسان بغير ذكر مناقبهم. وقد أخطأ في ذلك فريقان: فريق يظنون أن صدور بعضهم لبعض كانت متصافية بحيث لم يشب صفوها أي كدر، ولم تجر بينهم مشاجرات ، فإن هذا محض وهم. وقد شهد النقل المستفيض الذي لا يمكن إنكاره بوقوع مشاجراتهم. وفريق آخر لما رأوا هذه المشاجرات منسوبة إليهم أطلقوا ألسنتهم بسبّهم والطعن فيهم فسقطوا في وادي الهلاك"[2].

وإلى جانب هذه الصفات الأساسية التي تكوّن شخصية الإمام الدهلوي هناك صفات أخرى يساهم استجلاؤها في توضيح صورة الإمام أكثر من ذلك ما ذكره الشاه عبد العزيز عنه حيث قال: " لم أر مثل السيد الوالد في قوة ذاكرته، ولا أقول إنني لم أسمع بمثله، ولكنني لم أشاهد، وكان- علاوة على علومه وفضائله- عديم النظير في ضبط مواعيده، وتنظيم أوقاته، وكان إذا جلس مجلسه بعد الإشراق لم يغير جلسته،

[1] – المصدر نفسه، ص204- 206.

[2] – المصدر نفسه، ص206.

ولا يحك جسده. . وكان يدرس الحديث الشريف ويدرسه، وكان إذا انكشف عليه شيء سجّله، وكان قليلا ما يمرض، وكان جدي وعمي (اللذين كانا طبيبين أيضا) يعالجان الناس، أما الوالد فقد انصرف عن هذا عن هذا الشغل، إلا أنه كان يطالع كتب الطب، وكان من- صباه- لطيف الطبعِ يحبُّ النظافة، وقلَّ ما كان ينشد الأبيات الصوفية، إلا أنه – أحيانا – كان ينشد بيتا أو بيتين "[1].

2- مؤلفات الإمام الدهلوي وآثاره: كان للشيخ عناية بالغة بالتأليف، في العلوم الشرعية باللغة الفارسية، والعربية، سارت مسير الشمس، ولا تزال تضيء ظلمات الريب، وتهتك سجوف الجهل، وتنور حلك الزندقة والإلحاد. وسنكتفي في هذا الثبت بذكر المشهور المتداول منها:

أولا - علوم القرآن والتفسير:

1. الفوز الكبير في أصول التفسير: وقد كتبه بالفارسي، وهو من أوائل كتب الدهلوي التي طبعت في مصر، وكان ذلك في عام(1295هـ)، وهو من الكتب التي لم يسبق إليها، والكتاب على صغره يضم مباحث لا توجد في كتب علوم القرآن وأصول التفسير كالبحث في المحاور الخمسة للقرآن الكريم، وهي عنده علم الأحكام[2]، وعلم الجدل، وعلم التذكير بآلاء الله، وعلم التذكير بأيام الله، وعلم التذكير بالموت وما بعد الموت.

2- فتح الرحمن في ترجمة القرآن: وهي ترجمة للقرآن بالفارسي، وهذه الترجمة من

[1] - انظر: أبو الحسن الندوي، **من رجال الفكر والدعوة، ج4، الإمام الدهلوي**، ص126-127. نقلا عن: **من ملفوظات الشيخ عبد العزيز**، ص11.

[2] - كالواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، سواء كانت من قسم العبادات أو المعاملات، أو الاجتماع أو السياسة المدنية. وتأمل كيف وسع الدهلوي موضوع الفقه ليشمل الاجتماع والسياسة المدنية. ينظر: ولي الله الدهلوي، **الفوز الكبير في أصول التفسير**، تح: سلمان الندوي، ص19.

أحسن التراجم لم ير نظيرها فيما قبل ولا فيما بعد، ولذلك اختارها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الكريم، دون غيرها لجودتها، وبذلك انتشرت في الآفاق.

ثانيا – كتبه في أصول الدين وفلسفة الشريعة:

3- حجة الله البالغة:هو كتاب مبتكر في موضوعه لا يوجد له نظير في المكتبة العربية على سعتها، وقد أجله علماء هذا الموضوع، طبع الكتاب أول مرة في بريلي (الهند)، بعناية العلامة محمد أحسن الصديقي النانوتوي، عام 1276هـ في مجلد واحد، ثم طبع في بولاق عام 1294هـ، ثم أعيد طبعه مرارا في مصر ولبنان.

4- البدور البازغة، وهو كتاب جليل القدر في علم الكلام، وفيه عرض الإمام الدهلوي للنظام الفكري للحياة الإسلامية، وفيه يجد الباحث المتملّي ولأول مرة في التاريخ الإسلامي رجلا يمهد السبيل لتدوين فلسفة الإسلام.

رابعا: الفقه والاجتهاد والتقليد:

5- عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد: عرض فيه الإمام لكثير من الأحكام المتعلقة بمبدأ الاجتهاد والتقليد في الإسلام. طبع الكتاب في القاهرة بالمطبعة السلفية لصاحبها "محب الدين الخطيب" سنة(1385هـ).

6-الإنصاف في أسباب الاختلاف: وقد حقق الكتاب من طرف العلامة المحدث عبد الفتاح أبي غدة ونشر عن دار النفائس بلبنان.

خامسا: الحديث الشريف:

7-المسوّى شرح الموطأ: بالعربي، شرح فيه أحاديث الكتاب، اقتصر فيه على شرح الغريب، كما رتب فيه أحاديث الموطأ ترتيبا يسهل تناوله، وترجم فيه كل حديث بما استنبط منه، و بين فيه ما تعقبه العلماء على الإمام مالك – رحمه الله –، بإشارة لطيفة،

حيث كان التعقب بحديث صريح صحيح[1].

8- المصفىَّ شرح الموطأ: ترجم فيه الموطأ إلى الفارسية، مع تعليقات وجيزة، صححه وهذَّبه بعد وفاته، الشيخ "محمد أمين الولي اللاهي"، صاحب الدهلوي. وقد ترجم الكتاب حديثا إلى اللغة العربية في مجلدين من طرف العلامة سلمان الندوي.

سادسا: في التصوف والسلوك:

9- الخير الكثير أو خزائن الحكمة: وهو كتاب في الحكمة المتعالية وهو من أجل كتب الشيخ العرفانية، ومن خلاله ندرك علو كعب في المعارف الإلهامية وبخاصة في علوم الولاية.

10- فيوض الحرمين: كتبه بالعربي ويشتمل على ست وأربعين مشهدا من مشاهداته المنامية. والكتاب وثيقة تاريخية لأحوال حياته.

11- التفهيمات الإلهية: كتاب باللغتين العربية والفارسية، والكتاب مليء بالفوائد العلمية، في الكلام، ودقائق السلوك والتزكية، وهو على غرار كتاب الفوائد لابن قيم الجوزية، وصيد الخاطر لابن الجوزي، إن لم يكن أهم منهم بكثير.

سابعا: السياسة المدنية:

12- إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء: والكتاب يكاد يتمحض للسياسة الشرعية، كما لم يغفل تبيان الأسباب والعلل التي أدت إلى تقهقر المسلمين. كما تناول فيه الإمام الدهلوي مسألة الخلافة، وثبوت خلافة الخلفاء الراشدين للرد على الشيعة.

13- الرسائل السياسية: وهي عبارة من مجموعة من الرسائل التي بعث بها الإمام

[1] - عبد الحي الكتاني، **معجم المعاجم و المشيخات والمسلسلات**، (مرجع سابق)، ج2، ص1221.

الدهلوي إلى الأمراء، والملوك، ثامنا – الفنون الأدبية والمديح:

14– أطيب النغم في مدح سيد العرب و العجم: وقد طبع أخيرا بدمشق بدراسة وتحقيق وشرح الدكتور مراد مولوي وهو عبارة عن قصيدة كتبها في مدح الرسول ﷺ وتعد القصيدة موجزا عن سيرة الرسول الأكرم ﷺ.

تاسعا– في السيرة وطبقات المشايخ والعلماء:

15– أنفاس العارفين: بالفارسية. وتشتمل على تراجم آبائه والكبار من أسرته، وعلى سيرهم، وبعض وقائعهم ومعارفهم.

16–الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف: وهو عبارة عن سيرة ذاتية للإمام الدهلوي وهو عمل يذكرنا بصنيع الحكيم الترمذي في "بدو شأن الحكيم" و"الوصايا" للمحاسبي، و"المنقذ من الضلال" لحجة الإسلام للغزالي. وهو الكتاب الذي نعمل على ترجمته والتقديم له. وفي هذا الكتاب تعرض الإمام لأهم مراحل نشأته.

تلك هي آثار الدهلوي العلمية، وهي تدل على موسوعية الرجل وتبحره في مجالات عدة، ولذلك وقع إجماع عند المهتمين بتراثه على أن الإمام الدهلوي كان علامة فارقة ونقطة مفصلية، في مجال تطور الفكر الإسلامي في الهند.

2-3- خصائص هذه الآثار

أولا- الجمع بين المعقول والمنقول: بحيث يتساوقان، ويبدو أن سلوكه المسلك العقلي لأجل بيان الجانب الحكمي للشرع حيث شعر الدهلوي أن دور قبول الشريعة على أساس الإيمان والتعبد قد ولىَّ، وأن الأمة مقبلة على دور جديد وهو دور التعقل والمنطقية، يقول أبو الحسن الندوي عن هذه الخاصية: "رغم أن التفسير المنطقي

للقضايا الإسلامية، والتطبيق بين العقل والنقل لم يكن موضوعا جديدا في القرن الثاني عشر، لكن كلما كتبه الذين سبقوه في هذا الفن، لا يعد إلا إشارات ونقاط، ولا نجد التفسير المنطقي الحكيم للنظام الشرعي الكامل للإسلام قبل الشاه ولي الله الدهلوي، ونعتقد أن حجة الله البالغة أول ما ألف في هذا الموضوع مع هذه الجامعية والشمول والاتساع"[1].

ثانيا – تميز الأسلوب:وهذا أثر من تكوينه العلمي الرصين، حيث جمع في ثقافته بين القديم والحديث بالنسبة إلى زمانه، بالإضافة إلى رسوخه في علوم الوحيين، والسيرة والتاريخ، والأدب، وعلم العمران البشري، كل ذلك مع التأمل العميق، والحدس الشفاف، مع القدرة على التعبير باللغة العربية كأنه من أهلها، وهذا ما كان ملحظا لأبي الحسن الندوي فقال عن أسلوبه:"إن الأدب العربي أصيب بالجمود والتعطل من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر، وما وجد فيه من يبتكر طريقا جديدا إلا عبقريين أثنين أولهما ابن خلدون، وثانيهما الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي"[2].

ثالثا– تجاوز العصر والعالمية: وهي خصيصة أخرى تتميز بها كتب الإمام الدهلوي، إذ كان الرجل برئ من آفات عصره، كأنه القوي في وسط المرضى بحيث لا يصاب بأذاهم، ولا تمتد إليه عدواهم وهو ما بينه "سليمان الندوي"، إذ يقول: "لقد كانت قلة قليلة من المؤلفين ممن لا تشيع في مؤلفاتهم روح عصرهم، أو لا تتجلى فيها مسحة عهدهم وبلادهم، أو يأتي فيها ذكر نكران أهل عصرهم وعدم تقديرهم للعلم، واضطراب أوضاعهم على الأقل، ولكن مؤلفات الإمام الدهلوي طليقة من قيود

[1] – الفرقان، عدد ممتاز عن الشاه ولي الله الدهلوي، بريلي، ص31.
[2] – أبو الحسن الندوي، **من رجال الفكر والدعوة**، ج4، ص 855.

الزمان والمكان، فلا يبدو منها أنها ألفت في عصر كان الأمن والطمأنينة محت فيه من صفحة هذه البلاد، كالخطأ الذي يزال، وكانت البلاد كلها تعاني من ملوك الطوائف، والحروب الداخلية والفوضى السياسية، وكل نوع من أنواع الشر والفساد"[1].

2-4- تلاميذ الشاه ولي الله: من منن الله العظيمة، ونعمه السابغة أن رزقه الله تلاميذ كان كل واحد علما مفردا، أفادوا خلقا لا يحصون بعد، حتى ارتوت أرض الهند من تعاليم الوحي، وانتشار المفاهيم الدينية الصحيحة، والواقع أنهم أثروا تأثيرا عميقا في مجرى الحياة، وفي حوادث الهند وثورتها ولا نكون مبالغين إذا قلنا إننا "لا نجد اليوم أحدا ممن له نصيب في العلم إلا وهو ينتسب إلى هذا البيت العلمي الكريم". ولكثرة تلاميذ الدهلوي نكتفي بذكر ثلاثة منهم، وهم من قامت على جهودهم مدرسة الإمام الإصلاحية:

أولا- محمد عاشق الفلتي: من أجل من صحب الإمام الدهلوي، حيث لازمه في السفر والحضر، وكان معه في رحلته إلى الحجاز، وهو الذي أشار إلى الشيخ بضرورة تأليف "حجة الله البالغة"، وقد ذكر الدهلوي ذلك في مقدمة الكتاب حيث يقول: "فبينما أنا في ذلك أقدم رجلاً، وأؤخر أخرى، وأجري شوطاً، ثم أرجع قهقرى، إذ تفطن أجل إخواني لدي، وأكرم خلاني علي محمد، المعروف بالعاشق، لازال محفوظاً من كل طارق وغاسق، بمنزلة هذا العلم وفضائله"[2].

وهو أول من ترجم للإمام الدهلوي في حياته وسماها " القول الجلي في مناقب الولي "، وقد اطلع عليها الإمام الدهلوي، وشكره على سعيه فيها. ومن أعظم مآثره

[1] – سليمان الندوي، في العدد الخاص عن الإمام الدهلوي **في مجلة الفرقان**، ص:348-349. نقلا عن: أبي الحسن الندوي، **من رجال الفكر والدعوة في الإسلام – الإمام الدهلوي**، ج4، ص263-264.

[2] – ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، تح: محمد سالم هاشم، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1995م، ج1، ص6.

تبييضه لكتاب "المصيفي شرح الموطأ" لشيخه الدهلوي، توفى عام (1187هـ)[1].

ثانيا –القاضي ثناء الله العثماني الباني بتي (ت1225هـ):من كبار العلماء الهند ومصلحيها، حفظ القرآن في صغره، كما درس العربية في بلدته، ثم انتقل إلى دهلي للتزود من العلم فالتقى الجلّة من العلماء منهم المحدث المشهور ولي الله فأخذ من الفقه، وأسند عنه الحديث، لقبه عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي وهو من أقرانه ببيهقي العصر نظرا لتبحره في الفقه والحديث[2]. قال عنه صاحب "اليانع الجني": "إنه كان فقيهًا أصوليًا زاهدًا مجتهدًا، له اختيارات في المذهب، ومصنفات عظيمة في الفقه والتفسير والزهد، وكان شيخه المظهر يفتخر به"[3].

اشتغل في حياته بالتدريس والتصنيف، والقضاء، من مؤلفاته "التفسير المظهري"، وله "شرح على حزب البحر" للإمام أبي الحسن الشاذلي. ويبدو أنه تلخيص على الهوامع للشاه ولي الله، وله أيضا تعليقات نفيسة على " المقالة الوضيئة في النصيحة والوصية " للمؤلف نفسه، مات في غرة رجب سنة خمس وعشرين ومائتين وألف ببلدته" پانيپت"، في الهند[4].

ثالثا– مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي: مفخرة الهند صاحب التآليف المنيفة لعل أهمها " إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين" و" تاج العروس من شرح القاموس "، أخذ العلم من أكثر من ثلاثمائة شيخ، سطع نجمه، و اخترق صيته آفاق العالم الإسلامي، وسارت كتبه مسير الليل والنهار، ويذكر أن مجلسه في القاهرة كان

[1] – ينظر في ترجمته: عبد الحي الحسني، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، ج6، ض827.
[2] – عبد الحي الحسني، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، ج7، 742.
[3] – محسن بن يحيي الترهتي، **اليانع الجني في أسانيد عبد الغني**، ص131.
[4] – عبد الحي الحسني، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، ج7، ص942.

يضاهي مجلس السلاطين، توفي بمصر (1250هـ)[1]. ويذكر عبد الحي الكتاني أنه يكفي الدهلوي، فضلا أن تخرج عليه يديه الحافظ الزبيدي، ذلك لأنه أخذ عنه في الهند قبل رحلته [2]، ونقل الكتاني في معجمه عن مرتضى الزبيدي قوله: "وصلت إليه بدهلي، وقرأت عليه الحديث، ولقنني الذكر وأجازني "[3].

رابعا- مكانة الدهلوي:

وقد أثنى على جهوده الدؤوبة في خدمة السنة ونشر الحديث الجلّة من العلماء نخص منهم:الشيخ صديق حسن القنوجي الذي يقول عنه: "لو سبق به الزمان، وكان من القرون المتقدمة، لعدَّ من كبار الأئمة المجتهدين في الإسلام "[4].

ويقول عنه شبلي النعماني: "بعد ابن رشد وابن تيمية، بل حتى في عصرهما بدأ الانحطاط الفكري لدى المسلمين، ومن هذه الناحية لم يلح في الأفق أي بارقة أمل في ظهور أي مفكر وعالم، ولكن القدر أدهشنا بأعاجيبه عندما بزغ نجم عالم مثل شاه ولي الله في آخر ذلك العهد، وقد ذهب رواء وبهاء أعمال الغزالي والرازي وابن رشد أمام إبداعاته"[5].

ويقول عنه المفكر، والأديب الكبير:"أبو الحسن الندوي": "هو حكيم الإسلام،

---

[1] – انظر في ترجمته: عبد الحي الكتاني، **معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات**، ج1، ص179و أيضا: ج1، ص526؛ عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، **النفس اليماني**، تح: محمد عبدالله الحبشي، ط1. الرياض:دار الصيمعي 2012م، ص 260-282.

[2] – عبد الحي الكتاني، **معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات**، ج2، ص1122.

[3] – المرجع نفسه، ج1، ص178.

[4] – أبو الحسن الندوي، **مقدمات أبي الحسن الندوي**، إعداد سيد أحمد زكريا الغوري، ط1. دمشق: ابن كثير 2010م، ج2، ص21.

[5] – شبلي النعماني، **علم الكلام الجديد**، ترجمة جلال السعيد حفناوي، ط1. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2012م، ص101.

وفيلسوفه المجدّد الديني والعلمي الكبير، المحدّث، المفسر، الفقيه، الأصولي، المتكلم، السياسي، الشيخ قطب الدين، أحمد ولي الله ابن عبد الرحيم، العمَري الدّهلوي، أحد حكماء الإسلام ونوابغه، وكبار المفكرين الإسلاميين من طراز الإمام الغزالي، وشيخ الإسلام ابن تيمية"[1].

وقال عنه محمد رشيد رضا:" مجدد القرن الثاني عشر للهجرة في الهند، بدعوته، وإرشاده، وتربيته، وتدريسه، ومصنفاته، وبمن ترك من العلماء الأعلام من أبنائه، وتلاميذه، ومريديه، فقد كان جامعا بين العلوم النقلية والعقلية، والفلسفة والتصوف كما يعلم من كتابه المشهور "حجة الله البالغة" الذي وضعه لبيان مقاصد الشريعة وحكمها وأسرارها، وإن أشهر علماء الهند من بعده إلى يومنا هذا يتصلون بسلسلته ويجرون على طريقته – رحمه الله–"[2].

أما"عبد الحي الكتاني" فيقول عنه: "كوكب الديار الهندية. . . كان هذا الرجل من أفراد الرجال المتأخرين علما وعملا وشهرة، أحيا الله به و بأولاده و بأولاد بنته و تلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد مواتها وعلى كتبه وأسانيده المدار في تلك الديار، والمترجَم له والله جدير بكل إكبار واعتبار"[3]. ويقول عنه في موضع آخر من كتابه "معجم المعاجم":"وأنه من ظهر لي أنه يعد من حفاظ القرن الثاني عشر، وأنه من رحَلَ، ورُحِلَ إليه، وروى وصنّف واختار، ورجح وغرس بالهند، وأطعم، وأثمر، وأكل منه خلق"[4].

---

[1] – أبو الحسن الندوي، **مقدمات أبي الحسن الندوي**، ج2، ص21.
[2] – محمد رشيد رضا، **مجلة المنار**، مجلد 34، ج3، ص236.
[3]– عبد الحي الكتاني، **معجم المعاجم و المشيخات والمسلسلات**، ج1، ص178.
[4] – المرجع نفسه، ج2، ض1122.

الفصل الثاني: مآثره التجديدية

في البداية وقبل الحديث عن جهود الدِّهلوي الإصلاحية والتجديدية، يحسن بنا أن نشير إلى المقصود بالتجديد في بعديه اللغوي والاصطلاحي. بالعودة إلى المعاجم اللغوية[1]، و يتتبع تصريف الكلمة ودلالاتها المختلفة، نجد أن الفعل جد يتمحور حول معنى أساسي هو القطع، يقال: ثوب جديد وملحفة جديدة حين جدها الحائك أي قطعها حديثا. كما يقال: جدد العهد، وجدد الوضوء وقد يبدو للوهلة الأولى أنهما بعيدا عن معنى الفعل جدَّ، الذي يأتي بمعنى القطع، ولكن عند إنعام النظر نجد أنهما على مثل المعنى الأول، فكأن الزمان قطع العهد، فاحتاج إلى تجديد في الأول، وكأن الحدث قطع الوضوء، فاحتاج إلى تجديد في الثاني، ومنه تسمية العرب الليل و النهار بالجديدين ويقال في اللغة تجدد إذا صار جديدا[2]، فكأن التجديد هو وصل ما انقطع من المعهود، وإعادته إلى حالة الفاعلية، بعد أن أدركه البلى على مرور الزمن، فاحتاج إلى من يعيده إلى حالته الأولى التي كان عليها، وهو المعنى الذي نراه يتساوق مع المفهوم الاصطلاحي للكلمة، إذ يرى "محمد الطاهر بن عاشور" أن التجديد هو عبارة: "عن الجهود العلمية والعملية التي تبذل لإصلاح الناس. في الدنيا: إما من جهة التفكير الديني الراجع إلى إدراك حقائق الدين، وإما من جهة العمل الديني الراجع إلى إصلاح الأعمال، وإما من جهة تأييد سلطانه"[3].

وهذا التعريف يحدد أبعاد التجديد الديني في ثلاثة محاور أساسية:

---

[1] – ابن منظور الإفريقي، **لسان العرب، مادة جدد**، ط1، بولاق: المطبعة الأميرية بمصر 1300ه، ج4، ص81 وما بعدها.

[2] – المرجع نفسه، ج4، ص82.

[3] – محمد الطاهر بن عاشور، **تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة**، تونس: الشركة التونسية للنشر والتوزيع 1985م، ص113.

- بعد الفهم له.
- بعد العمل به.
- بعد المحافظة عليه.

والمتأمل في كتب الإمام الدهلوي لا نجده يعرف التجديد تعريفا جامعا مانعا كما يقول المناطقة، لكننا نجده يذكر أحيانا خصائص المجدد من ذلك ما أورده في التفهيمات إذ يقول:" قال رسول الله ﷺ: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[1]، والمجدد رجل رزقه الله سبحانه من علم القرآن، والحديث ثم ألبس لباس السكينة، فجعل يضع التحريم، والوجوب، والكراهية، والاستحباب، والإباحة موضعها، وينقح الشريعة عن الأحاديث الموضوعة، وأقيسة القائسين، وعن كل إفراط وتفريط، ثم أظمأ الله أكبادا له، فأخذوا عنه العلم"[2]، ويقول في موضع آخر:"وأقرب الناس إلى المجددية المحدثون القدماء كالبخاري ومسلم وأشباههم..."[3].

ونظرا لتعدد مميزات تجديد الدهلوي وكثرتها فسأكتفي بإيراد بعضها مما أعتقد أنه محوريا بالنسبة إلى غيره، إذ المتأمل في كتبه، يشعر أن حركته التغييرية في ميدان الفكر الإسلامي، كانت استجابة لواقع بيئته، هذا الواقع هو الذي حدد للإمام مناحي تفكيره، ورسم له المهمة أو الرسالة التي ينبغي أن يوقف عليها هذا التفكير، ونوجز ملامحه فيما يلي:

---

[1] – أخرجه الحاكم في **المستدرك، في كتاب الفتن والملاحم،** رقم الحديث 8592؛ وأخرجه أبو داوود في **السنن، باب ما يذكر في القرن المائة** رقم 4293، قال الألباني صحيح.

[2] – ينظر: الإمام الدهلوي، **التفهيمات الإلهية**، ج1، ص 40

[3] – ولي الله الدهلوي، **التفهيمات الإلهية**، ج1، ص41 وأيضا: ج 2، ص249.

1- جهوده في الإصلاح الفكري:

1-1- مركزية القرآن الكريم والسنة الشريفة في تأصيل المفاهيم الدينية:

لقد أخذ الدهلوي على نفسه ألا يقبل أي رأي أو عمل مهما كان مصدره إذا كان مخالفا للمبادئ الإسلامية، حيث بنى طريقته:"على عرض المجتهدات على السنة والكتاب، وتطبيق الفقهيات بهما على كل باب، وقبول ما يوافقهما من ذلك ورد ما لا يوافقهما كائنا ما كان، ومن كان"[1]، فلا اعتبار لديه للوجدانيات، والمجتهدات، إلا إذا وزنت بميزان الكتاب والسنة، فإذا عارضته ردَّت، وإذا قررت أشياء سكت عنها الكتاب والسنة، فلا يخاطب بها الناس إذا كانت مما لا تحتمله عقولهم، فضلا على أن يطالبوا باعتقادها، وهو بهذا المعنى لمفهوم التأصيل نأى بنفسه عن خطل التجميد والتبديد.

لقد ابتعد عن التجميد لأنه لم يناد إلى العودة إلى الأصول فحسب، كما فعل غيره من معاصريه، دون اعتبار للمتغيرات الاجتماعية، وما طرأ على الفكر الإنساني من تطور، مغفلا التحديات العقلانية الكبيرة التي ستواجه إنسان العهد المقبل.

كما نأى بنفسه عن التبديد الذي يهدر قدسية النصوص الشرعية، وذلك بتأويلها دون اعتبار لمقاصد الشارع، كما يفعل المفكرون الجدد المنادون بفكرة موت المؤلف.

ولذلك وضع الشاه ولي الله منهجا يسدّد الاستمداد من النصوص الشرعية، ويعصمها من الانحراف ذات اليمين أو الشمال، ويمكن أن يُلاحظ – في منهجه – مسلكان مهمان:

المسلك الأول: الوصل بالأصل: وقد تبدى في مستويين اثنين: اهتم فيهما الدهلوي

[1] – صديق حسن خان، **الحطة في ذكر الصحاح الستة**، ص147.

بالقرآن الكريم في المستوى الأول، بينما اهتم في الثاني بالسنة الشريفة.

أولا –الاهتمام بالقرآن الكريم: حيث دعا الإمام إلى دراسة القرآن مباشرة، وهو أول من قام بحركة موسعة لترجمة القرآن الكريم حيث كانت بيئته وقتذاك لا تسمح بالقيام بهذا العمل، حيث حمل على عاتقه هذا العبء، وقدم الترجمة كاملة لمعاني القرآن الكريم، وسماها "فتح الرحمن" وهذه البادرة كانت نقطة انطلاق لتمتين علاقة عامة الناس بالقرآن الكريم، وهو ما عبر عنه "عبد الماجد الدريابادي" إذ يقول:"إن الحديث عن فهم القرآن الكريم الذي نجده اليوم، وهذه الترجمات التي صدرت بعشرات اللغات من الأردية والإنكليزية واللغات الأخرى، يكتب الجزء الأكبر من أجور ذلك في حسنات الإمام الدهلوي، إذ تنورت هذه المصابيح كلها من المصباح الذي كان أوقده الإمام الدهلوي"[1].

ولقد حاول الرجل أن يزيح شيئا من التفاسير التي حجبت الناس عن روح القرآن، ومنعت هداياته من الوصول إلى النفوس، آية ذلك ما كتبه في أحد وصاياه:"وصية هذا الفقير: هو الاعتصام بالقرآن والسنة في العقيدة والعمل، والمواظبة على تدبر ما جاء فيهما، والاهتمام بقراءة جزء منهما كل يوم. وإن لم يستطع القراءة، فيستمع لترجمة ورقة من كليهما على الأقل"[2]، ونجد صدى هذه النصيحة فيما قاله جمال الدين الأفغاني: "القرآن وحده سبب الهداية، والعمدة في الدعاية، أما ما تراكم عليه وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطاتهم ونظرياتهم، فينبغي أن لا نعول عليه ".

وهكذا شدّد الإمام الدهلوي على ضرورة التعامل مع القرآن مباشرة، لأن القرآن لا تاريخي، أما التفاسير فهي مرتبطة بالسقف المعرفي للمفسّر، وبالتراكم الثقافي له،

[1] – الفرقان، عدد ممتاز عن الشاه ولي الله الدهلوي، بريلي، ص31.
[2] – ولي الله الدهلوي، **المقالة الوضيئة في النصيحة والوصية**، ص201

ولم يقبل الشاه من التفاسير، إلا بحدود ما يسمح لفهم المعاني الغريبة. وهكذا فتح الشاه منهجا جديدا لتدبر القرآن يقوم على الحركة المزدوجة وهي حركة تراوح بين السياق التاريخي، أو ما يسميه المتصوفة" التنزيل"، والسياق الخاص بالقارئ، أو ما يسمى "بالتنزل" حيث يميز القارئ في هاته المرحلة بين الفهوم التي أحاطت بالنص القرآني عبر التاريخ، وبين فهم اللحظة التي يعيش فيها القارئ.

ثانيا- الاهتمام بالحديث النبوي والقيام بترويجه: ولما كان ميزان العلوم قد اختل في الهند في زمانه لصالح العلوم العقلية والآلية بطغيان حكمة اليونان ومنطقها، فقد عالج الإمام ولي الله هذا الاختلال بصرف جل اهتمامه بنشر الحديث، وإحياء علومه بعد اندراسها حينا من الدهر، فأرسى بجهوده الدؤوبة قواعد التحقيق، وفتح للناس آفاقا جديدة لفهم السنّة المشرفة، وهي معاني أكدها صديق حسن خان بقوله:"ثم جاء الله –سبحانه وتعالى–من بعدهم بالشيخ الأجل والمحدث الأكمل ناطق هده الدورة وحكيمها وفائق تلك الطبقة وزعيمها الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي المتوفى سنة ست وسبعين ومئة وألف وكذا بأولاده الأمجاد وأولاد أولاده أولي الإرشاد المشمرين هذا العلم عن ساق الجد والاجتهاد فعادبهم علم الحديث غضا طريا بعد ما كان شيئا فريا وقد نفع الله بهم وبعلومهم كثيرا من عباده المؤمنين ونفي بسعيهم المشكور من فتن الإشراك والبدع ومحدثات الأمور في الدين ما ليس بخاف على أحد من العالمين، فهؤلاء الكرام قد رجحوا علم السنة على غيرها من العلوم وجعلوا الفقه كالتابع له والمحكوم وجاء تحديثهم حيث يرتضيه أهل الرواية ويبغيه أصحاب الدراية، شهدت بذلك كتبهم وفتاويهم ونطقت به زبرهم ووصاياهم ومن يرتاب في ذلك فليرجع إلى ما هنالك فعلى الهند وأهلها شكرهم ما دامت الهند وأهلها"[1].

[1]- صديق حسن القنوجي، **الحطة في ذكر الصحاح الستة**، ص146-147.

ولقد حقق الإمام الدهلوي نجاحا باهرا في نشر الحديث النبوي، إذ بفضله وبفضل خلفائه الذين يتصل إسنادهم به، ازدهرت علوم القرآن، والسنة النبوية، وتضوعت ريحها في جنبات الهند، وغيرها من بلدان العالم الإسلامي، وهو معنى لمحه محمد عبد العزيز الخولي إذ يقول:"ولا يوجد في الشعوب الإسلامية على كثرتها، واختلاف أجناسها، من وفَّ الحديث قسطه من العناية، في هذا العصر مثل إخواننا مسلمي الهند، أولئك الذين وجد بينهم حفاظ للسنة، دارسون لها على نحو ما كانت تدرس في القرن الثالث.... وإن أساس تلك النهضة في البلاد الهندية أفذاذ أجلاء تمخضت بهم العصور الحديثة، انتهجوا في تحصيل العلوم نهج السلف. فنبه شأنهم، وعلا أمرهم، وذاع صيتهم، وتكونت جمعيات سلكت سبيلهم، وعملت على نشر مبادئهم. فكان لها ذلك الأثر الصالح، والسبق الواضح، ومن أشهر هؤلاء الأعلام ولي الله الدهلوي، صاحب التصانيف في اللغتين العربية والفارسية"[1].

المسلك الثاني: **تشكيل منهاج التعامل مع الأصلين:** وقد تجلت فيه ركيزتين اثنتين، الأولى الجمع بين الثبات والتطور في فهم الشريعة، والثانية استقصاء علل الأحكام وحِكَمِهَا:

الأول: الجمع بين الثبات والتطور: فلقد رأى الإمام الدهلوي أن الشريعة مادة وصورة، فالمادة هي الأصول التي وردت في النصوص الشرعية والتي لا تقبل التغير ولا يطالها التبديل، أما الصورة فهي كيفيات تنزيل تلك الأصول في الواقع بما يتماشى مع الظروف الزمكانية، وهذه الجنبة تتسم بالتغير والتبدل. ولما كانت هذه الجنبة متطورة دعا الإمام إلى إعادة فتح باب الاجتهاد من جديد، لكي يضمن للإسلام

[1]. محمد عبد العزيز الخولي، **تاريخ فنون الحديث النبوي**، تح: محمود الأرناؤوط وآخرون، ط1، دمشق: دار ابن كثير، 1407هـ، ص293.

التلاؤم مع العصر الحديث، والحقيقة أن الإسلام المعاصر في أمس الحاجة إلى إعادة فتح هذا الباب إذا أردنا أن يظل الإسلام إحدى القوى الروحية الموجهة في المستقبل، ذلك أنه بمبدأ الاجتهاد الذي شرعه يتحقق التوفيق بين مراتب الدوام والتغير بما يستتبع من توافق الفكر والسلوك.

وهناك عمل آخر قام به الشاه يلحق بمناداته بفتح باب الاجتهاد، هو تمييزه بين الشريعة الموحى بها وأعمال الفقهاء والمجتهدين المرتبطة بأزمانهم وأمكنتهم، وليست هاته العملية عديمة الجدوى إذ أنها محاولة ترمي إلى نزع القداسة عن كم هائل من الفتاوى تراكم على مدى أزمان متطاولة، وما ذلك إلا اعتقاد منه أن آراء الفقهاء اجتهاد بشري، ولا يمكن بأية حال من الأحوال أن تغلق الباب أمام اجتهادات فقهاء آخرين لهم الأهلية والقدرة على الاجتهاد، ولا شك أن هذا العمل لبنة أساسية نحو فتح باب الاجتهاد الذي دعا إليه الشيخ فيما بعد.

الثانية:استقصاء علل الأحكام وحِكَمِهَا:إذ الشريعة في تصور الإمام الدهلوي معقولة المعنى؛ لذا كان البحث عن علل الأحكام وحكمة التشريع ديدنه كما تشهد على ذلك مؤلفاته وبخاصة كتابيه "حجة الله البالغة"، و"البدور البازغة"، وكان يرى أن هذا أمراً ضرورياً لتَفَهُّم لميّات أحكام الشرع وأبعاده، وعدم الاقتصار على التمسك بظواهر النصوص. وهو بهذا العمل الفذ يسد نقصا يعاني منه المتطلع إلى معرفة نظام الاجتماع الإسلامي. ولعل هذا ما حدا به إلى تقديم نظرية منهجية وهي "الارتفاقات"[1] لتطوير النواحي الاجتماعية والاقتصادية للأمة، ولذلك جاءت كتاباته مشبعة بقيم سياسية عليا.

[1] – وهي اشتراك أفراد النوع الإنساني في الانتفاع بعضهم من بعض والتعاون فيما بينهم، والمشاركة في العمل، والتدابير النافعة لإنشاء حياة مدنية معتدلة متزنة.

والحقيقة أن المأثرة الكبيرة من مآثر الشاه التي خلفها هي عنايته البالغة بالأهداف والغايات الحضارية العمرانية والأبعاد الأخلاقية السلوكية في التشريع الإسلامي؛ وإحيائه للدرس المقاصدي حيث جعل منه سلما لإعادة تجديد الدين، وتخليصه من الشوائب التي لحقت به، وعملت على شل حركته.

ولا نعدو الصواب إذا قلنا إن الإمام الدهلوي بكتابه "الحجة" سبق عصره في الحديث عما يسمى روح القانون، وهذا باهتمامه بمقاصد الشريعة، وسلوكه في علم الفقه ذلك المسلك، وخروجه عن الجمود والتقليد المذهبي. وما ذلك إلا لمواجهة مشكلات الواقع، وإيجاد حلول لها من خلال اجتهاد متفاعل يجمع بين فقه الواقع المستند إلى طبائع العمران البشري، والقيم التوجيهية العليا المكتنزة في نصوص الوحي.

1-2-الاهتمام بإصلاح العقيدة والدعوة إلى التوحيد:

أولى الإمام الدهلوي العقيدة اهتماما بارزا في مشروعه التجديدي وبخاصة مسألة إعادة الثقة بالرسالة المحمدية وحاجة الناس إليها، وترسيخ هذه العقيدة في سويداء النفوس.

والحقيقة أنها مأثرة الإمام العظمى التي تدور عليها جميع مساعيه الإصلاحية، حيث بيّن في كتابه العظيم "حجة الله البالغة"- والذي اعتبره أنا شخصيا كتابا في "علم الكلام الجديد"- إن الإسلام يتوافق ويتناغم مع الطبيعة البشرية ولا يتعارض معها، ولذلك اعتبر الدهلوي أن إعجاز القرآن يتجلى في هذا الجانب حيث يقول: "ومن وجوه الإعجاز القرآني ما لا يتيسر فهمه إلا للمتدبرين المتأملين في أسرار الشرائع، ودقائقها، وذلك أن هذه العلوم الخمسة – من جهة أنها لهداية النوع البشري وإرشاده – حجة قائمة بذاتها على أن هذا الكلام منزل من عند الله الحكيم العليم، كما

أن طبيباً حاذقا لو نظر مثلا في القانون (لابن سينا) وتأمل في بيانه لأسباب الأمراض، وعلاماتها، ووصفه لأدويتها، وعلاجها لما اعتراه أدنى شك في أن مؤلف هذا الكتاب من كبار الأطباء الحاذقين في صناعة الطب، كذلك العالم بأسرار الشرائع الذي يعرف ما هي الأشياء التي يمكن تعليمها وتلقينها للناس لتهذيب نفوسهم وإصلاح قلوبهم، ثم يتأمل في هذه العلوم الخمسة التي اشتمل عليها القرآن الحكيم لعلم العلم اليقين أن هذه العلوم قد وردت بمعانيها ومطالبها في القرآن على وجه لا يتصور أفضل منه، ولا أدنى ولا أجمل، وعلى كل فإن الشمس الساطعة دليل من نفسها على نفسها، فإذا كنت في حاجة إلى الدليل فلا تشح بوجهك عنها"[1].

وهكذا يغدو الميزان الصحيح عند الدهلوي الذي توزن به الأديان والمذاهب، هو مدى ملاءمتها للفطرة، وطبيعة البشر أم لا؟ وهل الإسلام يتوافق مع فطرة الإنسان التي جُبل عليها أم لا ؟.

ولقد حاول الإمام العظيم الإجابة عن هذا السؤال المحوري في كتابه الجليل "حجة الله البالغة"، وفي نظر الدهلوي أن هذه الطريقة أنفع وأجدى لترسيخ عقيدة الثقة بخلود الرسالة المحمدية، وصلاحيتها أمام المرتابين والمتشككين.

كما تولى في كتابه "حجة الله البالغة" بيان حقيقة التوحيد وأهميته، بأسلوب أنيق فذ، يدل على رسوخ قدمه في هذا العلم، ومن عباراته الجامعة في هذا الفنّ قوله: "والتوحيد أصل أصول البر وعمدة أنواعه، وذلك لأنه يتوقف عليه الإخبات- لرب العالمين- الذي هو أعظم الأخلاق الكاسبة للسعادة وهو أصل التدبير العلمي، الذي هو أفيد التدبيرين، وبه يحصل للإنسان التوجه التام تلقاء الغيب، وتستعد نفسه للحوق به بالوجه المقدس، وقد نبه النبي ﷺ على عظم أمره، وكونه من أنواع البر

[1] – شاه ولي الله الدهلوي، **الفوز الكبير في أصول التفسير**، تر: سلمان الندوي، ص103.

بمنزلة القلب إذا صلح صلح الجميع، وإذا فسد فسد الجميع حيث أطلق القول فيمن مات لا يشرك بالله شيئا أنه دخل الجنة، أو حرمه الله على النار، ولا يحجب من الجنة ونحو ذلك من العبارات"[1]. وحكى عن ربه تبارك وتعالى:"من لقيني بقراب الأرض خطيئة، لا يشرك بالله شيئا، لقيته بمثلها مغفرة"[2].

1-3- فصل العناصر الثقافية والحضارية للتقاليد والعادات عن جوهر الإسلام:

السنة المروية عن النبي ﷺ تحتوي على جزء جوهري وهو التشريع وهو الغالب لأن التشريع هو المراد الأول لله تعالى من بعثته ﷺ وجزء آخر تم إلحاقه به على مدى العصور، وليس من التشريع في شيء، وهو تصرفاته ﷺ التي تصدر عنه بمقتضى الجبلَّة والبشرية، ولا شك أن الإقدام على تمييز هاته التصرفات النبوية عمل صعب لا يستطيع أن ينوء به، إلا الأفذاذ من المجددين، والمصلحين الموهوبين، إذ على هدى هذا التمييز يبنى الفهم الصحيح للسنة وبه يتوسل إلى إدراك مقاصدها.

وهذا ما دعا الإمام الدهلوي إلى بيان أنواع التصرفات النبوية، وتمييز الفروق بينها في كتابه "حجة الله البالغة"، فقد ميَّز أقسام علوم النبي ﷺ فجعلها على قسمين:

" أولا: ما سبيله تبليغ الرسالة، وفيه قوله تعالى: **﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾**. (الحشر، الآية:7)...ثانيا: ما ليس من باب تبليغ الرسالة وفيه قوله: "إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر"[3].

---

[1] – المصدر السابق، ج1، ص206.

[2] – أخرجه مسلم في **صحيحه، كتاب العلم، باب الذر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى**، رقم الحديث 2687.

[3] – رواه مسلم في **صحيحه، في كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا**، رقم الحديث 2362.

وقوله ﷺ في قصة تأبير النخل: "فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل"[1]، فمنه الطب، ومنه ما فعله النبي ﷺ على سبيل العادة دون العبادة، وبحسب الاتفاق دون القصد... ومنه ما قصد به مصلحة جزئية يومئذ وليس من الأمور اللازمة لجميع الأمة "[2].

وتتزايد ضرورة هذا الموضوع – أعني التصرفات النبوية – متى علمنا أنه من غير المجدي في زماننا هذا أن يسلك المسلم المهتدي سواء في أوربا أو أمريكا أو أفريقيا أو آسيا مسلك عرب منطقة الحجاز في القرن السابع، سواء أكان ذلك في ملبسهم، أم في مأكلهم، أم في غيرهما، لأنه ببساطة يجعل المهتدي حديثا إلى الإسلام غريبا في وطنه، مهددا في رزقه، معرضا لصنوف التفرقة والازدراء، مما يدفعه إلى الانزلاق في حياة الغيتوهات كما عاش اليهود من قبل، وهذا الوضع ولا شك لا يليق البتة بالإسلام، كما يمكن أن يصيب عالمية رسالته وكونيتها في الصميم، و يحولها إلى ثقافة هامشية، بل إلى أحد أشكال الفلكلور الديني كما يقول "مراد هوفمان" بحق[3].

وبهذا العمل الفذ استطاع الشاه أن ينزع عن الدين ما تراكم عليه من مخلفات القرون، وأن يعود به إلى منبعه الأصيل الأثيل كجوهرة مصقولة براقة تناسب العالم في زمانه وبعده بقليل.

---

[1] – الكتاب نفسه، والباب رقم الحديث2361.

[2] – ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، تح: محمد شريف سكر، ط 1. بيروت: دار إحياء العلوم، 1990م، ج1، ص 372-371

[3] – مراد هوفمان، **رحلة إلى مكة**، ط2. الرياض، مكتبة العبيكان 2002م، ص 174.

1-4-الدعوة إلى التكامل بين العلوم ومحاربة النزعة الذرية:

لقد كان الإسلام في عهد السّلف الأول وحدة متماسكة لا تنفصم، فغدا بفعل ظروف الفساد الدنيوية، وطول الأمد، وحدات مجزأة مفككة بعضها عن بعض فدراسة الجانب العملي سواء أكان في مجال العبادات أم المعاملات تولاه الفقهاء، ودراسة الجانب العقدي بات من اختصاص المتكلمين، أما الجانب الوجداني فقد تولاه الصوفية، وكل طائفة من هذه الطوائف تدعي أنها الإسلام كل الإسلام، مما أوجد قطيعة معرفية بين هذه العلوم فضاع بذلك الارتباط الحيوي والتأثير المتبادل بين هذه الجوانب.

رأى الإمام هذا كله فانبرى لتقديم صورة عن الإسلام مبرأة من الشوائب والتحريف، شاملة لجميع جوانبه وأجزائه مع ترابطها، وحفظ نسبها، متجاوزة آثار الخصومات الفكرية بين أنصار هاته المدارس، وقد تجلّى هذا في مأثرته الخالدة "حجة الله البالغة". ذلك لأنه كان جامعا بين الطرق الثلاثة من السمع والفكرة والذوق.

كما تجلت هاته النزعة التكاملية كأوضح ما يكون في تطويره للدراسات الشرعية وفق منهج يزاوج بين ظواهر النصوص بعيدا عن النزعة الذرية التجزيئية، ويؤسس لقراءة مقاصدية قائمة على " علم أسرار الدين ".

كما تبرز هاته النزعة التكاملية في تحديده لأدواء الأمة، فلم يحصرها في عامل واحد، كما جرت بذلك عادة بعض الباحثين، تأثرا بتخصصاتهم في الغالب، كأن يكون ذلك العامل اقتصاديا، أو أخلاقيا، أو فكريا، بل رأيناه ينظر إلى العلل التي تنخر جسد الأمة نظرة متكاملة، تتناول ميادين شتى منها الأخلاقي والفكري والاقتصادي، بل والسياسي والروحي إذ الاهتمام بناحية دون غيرها، قد يؤدي إلى تأزم الوضع أكثر، بدلا من أن يؤدي إلى انفراجه، فالإصلاح الاقتصادي وحده، دون

أن يتبعه إصلاح خلقي وروحي، يؤدي إلى انفصام بين الغايات والوسائل، كما هو ملاحظ اليوم في أزمة الحضارة الغربية المعاصرة.

ولقد أبت عليه همته العالية أن يقتصر على ناحية دون أخرى من نواحي الإصلاح، بل رام نهضة شاملة روحية وسياسية وعلمية في وقت واحد، ولقد تأكد للدهلوي أن الدعامة الأولى للنهضة هي تجديد العلوم الشرعية وإحياء المعارف الإسلامية، حتى يقوم بنيان السياسة على أساس متين من الوعي الإسلامي العام.

وما ذاك إلا لنظرته الشمولية للدين، إذ الإسلام يختلف عن المسيحية التي تهتم بالإصلاح الجواني، وأهملت الجوانب البرانية، أما الإسلام فيهتم بتوجيه جميع مناشط الحياة، ولا يرضى لأتباعه بحياة الرهبنة في الزوايا والأديرة والكهوف.

وقد حقق الإمام الدهلوي في شخصه هذا التكامل المعرفي المطلوب فوعى عقله وقلبه علوم الأصلين، كما كان ملما بأحوال عصره ومتطلباته، ذا قدرة عجيبة على استنباط الأحكام والنظريات، وتنزيلها على الواقع مراعيا في كل ذلك مقاصد الشريعة السمحة.

1-5- **الجمع والتقريب بين المذاهب الإسلامية:** ذكرنا سابقا أن أدواء العالم الإسلامي في رؤية الشاه تكمن في داء الفرقة والتشرذم، والانحطاط الأخلاقي، الذي أصاب العالم الإسلامي، ورأى أن الحل يتمثل في السعي إلى توحيد وجمع الأمة على صعيد واحد، واقتراح صيغة توفيقية بين مختلف المارس الإسلامية السنية، يحدوه في عمله هذا تلك البشارة التي بشر بها من" أن مراد الحق منك أن يجمع شملا من شمل الأمة المرحومة بك"[1]. وقد تجلى هذا العمل في عدة مستويات:

[1] – ولي الله الدهلوي، **التفهيمات الإلهية**، ج1، ص41 وأيضا: ج 2، ص249؛ وينظر أيضا:ولي الله الدهلوي، **الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين**، ص153.

أولا- مستوى التوفيق والتقريب بين المذاهب الفقهية الأربعة: حيث رأى الدهلوي أن الخلافات المذهبية قد شتت شمل الأمة ومزقت جمعها، وبدل أن توجه الجهود للتقريب بين المذاهب الفقهية الأربعة، وتحقيق الانسجام فيما بينها، راحت كل طائفة تتعصب لما ينتحلونه من آراء فقهائهم، فكان من اللازم لرد هاته الفتنة العمياء أن تعمم الدعوة إلى الأصلين، باعتبارهما مصدر الأحكام الشرعية لسدّ الباب على علماء عصره الذين كان جل اعتمادهم على الفقه، وحفظ مسائله الفرعية دون نظر إلى الأصول وهذا ما أورثهم جمودا وتحجرا وعصبية، وعدم مسايرة لمقتضيات العصر.

ولذلك ما انفك الدهلوي يبين للناس أسباب اختلاف المجتهدين في المسائل، ويشرح مسألة الاجتهاد والتقليد، داعيا لترك التقليد الأعمى لآراء الرجال من غير دليل، مبينا أن منشأ ذلك سوى الجهل واتباع الهوى، حاثا العلماء على الفقهية بعد البحث والتحقيق، ذاما جمودهم عند ظواهر النصوص دون نظر لمقاصد الشريعة العامة.

ولم يكتف الإمام بالمناداة النظرية فحسب، وإنما قدم نموذجا عمليا يتجلى في اختياره كتاب الموطأ للإمام مالك حيث جعله عمدة درسه وشَرَحَه في كتابين هما: "المسوى" بالعربية، و"المصفى" بالفارسي"، وما ذلك إلا لأن الجمع بين المذاهب الأربعة لا يتأتى إلا بالحديث، ولأن الموطأ أقدم الكتب الحديثية بل هو أساسها، كما أنه الكتاب الوحيد الجامع لما اتفق عليه جمهور الصحابة والتابعين، ولذلك وقع اختياره عليه دون سواه، ونظرا لأن أكثر جماهير الأمة من مذهب الشافعية والحنفية، كانت أغلب استنباطات الإمام الدهلوي الفقهية من أحاديثه، مأخوذة مما استنبطه جماهير علماء المذهبين، ضاما لذلك ما لابد للفقيه من حفظه من القرآن.

لكن السؤال الذي يواجهنا ما الهدف من محاولة الدهلوي التقريب بين هذه

المذاهب الأربعة المشهورة؟ هل الهدف من ذلك وضع نظام تشريعي جديد للقضاء على المذاهب الموجودة؟ كما قد يتبادر إلى بعض قصيري النظر.

أكاد أجزم أن محاولة الشاه كانت تهدف بالأساس إلى تحرير الفقه من الجمود الذي شل حركته، ولإزالة الخلافات والتباغض والمقاتلة بين طبقات الأمة التي غذاها التعصب المذهبي، وقد كان الدهلوي يدرك أن جذور الخلافات قد تأصلت في النفوس منذ عدة قرون، وأن اتباع كل مذهب قد عبّروا عن مذهبهم بقولهم: مذهبنا صواب يحتمل الخطأ، ومذهب غيرنا خطأ يحتمل الصواب، وفي هذا أعظم الخطر على الإسلام برمته، ولذلك ما برح الشاه يدعو إلى ضرورة التسامح في المسائل المختلف فيها، وإلى عدم اتخاذها سببا للفرقة والقطيعة بين المسلمين، ولعل هذا ما دعاه إلى تأليف: "الإنصاف في أسباب الاختلاف" و"عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد".

ولا أدري كيف فهم البعض من دعوته هذه أنه يرمي إلى اجتثاث المذاهب الفقهية، وهو يذكر في مبشرة رآها أنه سأل النبي ﷺ عن هذه المذاهب وهذه الطرق أيها عنده بالأخذ وأحب؟ ففاض على قلبي منه أن المذاهب والطرق كلها سواء لا فضل لواحد على الآخر[1].

ثانيا – الجمع بين الفقه والحديث: واختيار طريق الفقهاء المحدثين والدعوة إلى سلوك هذا المنهج التطبيقي، وبذل الجهود في سبيل ذلك، إذ كان الفقه والحديث يسيران في خطين متوازيين كما يقول الندوي، إذ كان كل واحد منهما يقطع طريقه في غنى عن الآخر فلا يجتمعان، ولم يكن يبحث في الحديث في كثير من المذاهب الفقهية إلا إذا كانت مسألة فقهية تحتاج إلى تأييد من حديث، أو دفع اعتراض أو ترجيح لمذهب على آخر، فلم تكن هناك محاولة لإعادة النظر في المسائل الفقهية نفسها ولا

[1] – ولي الله الدهلوي، **الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين**، ص158.

التوفيق بينها وبين الحديث، حتى اعتقد أصحاب كل مذهب أنهم على الجادة مئة بالمئة[1]، وهنا ثار الإمام الدهلوي عن هذا الوضع مرددا بأعلى صوته: "أشهد بالله أنه كفر بالله أن يعتقد في رجل من الأمة ممن يخطئ ويصيب، أن الله كتب علي اتباعه حتما، وأن الواجب علي هو الذي يوجبه هذا الرجل علي، ولكن الشريعة الحقة، قد ثبتت قبل هذا الرجل بزمان، وقد وعاها العلماء، وأداها الرواة، وحكم بها الفقهاء، وإنما اتفق الناس على تقليد العلماء على معنى أنهم رواة الشريعة عن النبي ﷺ وأنهم علموا ما لم نعلم، وأنهم اشتغلوا بالعلم ما لم نشتغل، فلذلك قلدوا العلماء فلو أن حديثا صح وشهد بصحته المحدثون، وعمل به طوائف فظهر فيه الأمر، ثم لم يعمل به لأن متبوعه لم يقل به، فهذا هو الضلال المبين "[2].

وفي هذا الصدد يقول في وصيته ناصحا تلامذته وعليكم: "اتباع العلماء المحدثين الذين يجمعون بين الحديث والفقه، وعرض التفريعات الفقهية دائما على الكتاب والسنة فيؤخذ ما وافقها ويترك ما خالفهما. فإن الأمة لا تستغني أبدا عن عرض الاجتهادات على الكتاب والسنة وعدم السماع للفقهاء المتزمتين الذين يقلدون عالما معيينا ويعرضون عن تتبع السنة فلا يحتفل بهم فان رضى الله في الابتعاد عنهم"[3].

ويقول في "الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف": "ومما وفقني الله تعلى للقيام به من الأعمال: تدوين المرضي والمختار في علم الفقه، و اختيار **طريقة الفقهاء المحدثين** في المسائل الفقهية، وتشييد الصرح العالي لهذا الفن الشريف، فقمتُ بضبط أسرار السنن، ومصالح الأحكام، وسائر ما جاء رسول الله ﷺ من ربه، وقام بتعليمه".

---

[1] – أبو الحسن الندوي، **رجال الفكر والدعوة في الإسلام (الإمام الدهلوي)**، ج 4، ص188.

[2] – ولي الله الدهلوي، **التفهيمات الإلهية**، ج1، ص211.

[3] – ولي الله الدهلوي، **المقالة الوضيئة في النصيحة والوصية**، ص201.

ومع هذه الوضوح المنهجي إلا أن الشاه ولي الله لم يكن يضيره أن ينسب نفسه إلى المذهب الحنفي، والالتزام به، وما ذاك إلا لأنه يعلم أن هاته المذاهب الأربعة مما أجمعت الأمة على قبولها، وأن أئمتها ومؤسسيها هم هداة الأمة وقادتها. وأن في بقائها مصلحة عظيمة للأمة، وهذا ولا شك موقف حكيم، يدل على نفاذ بصيرة الشيخ وبعد نظره.

وتحضرني في هذا المقام قصة طريفة وقعت للشيخ ولي الله مع المحدث "فاخر إله آبادي" حين أمَّن هذا الأخير بالجهر في الصلاة في الجامع الكبير بدلهي، فأثار بعمله فتنة بين جمهور المصلين حاولوا على إثرها النيل منه، لكنهم آثروا الذهاب إلى الشاه ولي لمعرفة رأيه في القضية، فقال ولي الله إن التأمين بالجهر ثابت بالأحاديث الصحيحة، فرجع الناس، عندئذ توجه المحدث فاخر للشاه قائلا: لماذا لا تظهر نفسك، وتشهر السنن فكان جواب حكيم الملّة: أنه إذا لم أكن هناك فمن يمنعك من هؤلاء[1]. وهي قصة تكشف ولا شك اتساع دائرة فهم الشيخ ولي الله.

ثالثا–التقريب بين الفقهاء والطرق الصوفية:كما اهتم الشاه برفع الخلاف بين الفقهاء والصوفية والتوفيق بين العلوم الشرعية والرياضات الصوفية، ولذلك نراه أولا يتجه إلى تطهير التصوّف وإزالة الشوائب عنه، فيحذّر الناس من رجال السوء الذين يتّخذون التصوف حرفة وينتحلون الكرامات والخوارق... ويخالفون الشرع في عباداتهم ومعاملاتهم فيَضِلُّون و يُضلُّون، فإذا خلّص التصوف مما يأباه العلماء تمكّن الشاه ولي الله الدهلوي، من إعطاء صورة حقيقية واضحة للتصوف الإسلامي، ثمّ دافع عنها أمام العلماء حتّى أزال شكوكهم، وأثبت أن التصوف إنما هو طريقة لتقوية محرّكات العمل الصالح، ودعم البواعث النفسية للإخلاص والتضحية في سبيل

[1] – ينظر: عبد الجبار الفريوائي، **جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة**، ص 53.

الخير[1].

بل يذهب الشاه ولي الله أن للرسول ﷺ وجهين: وجها ظاهرا، ووجها باطنا، فالوجه الظاهر متجه منه إلى إقامة العدل في الناس وتأليفهم، وإرشادهم إلى ظاهر الشريعة...، والوجه الباطن إلى مراتب الفناء والبقاء، وعلومه المروية كلها إنما تنبع من الوجه الظاهر[2].

كما ذهب الشاه أن الشريعة وحدة ذات مظهرين: ظاهر وباطن، فالجانب الظاهري منها هو الجانب الذي تولى بيانه الفقهاء والمحدثون، نظر الله وجوههم، وهو جانب لا يمكن تجاوزه بأي حال من الأحوال، في سبيل الاحتفاظ باللب أو الروح، والمظهر الثاني هو الباطن، وإن شئت قلت: الهيئات النفسانية التي تنبجس منها الأعمال، وهذا الجانب في الحقيقة هو الأساس الفلسفي الذي تقوم عليه الشريعة، فالعلم الباحث عن الجهة الأولى هو علم الشرائع، والعلم الباحث الثانية هو الإحسان وإن شئت سمه تصوفا وتزكية [3].

ويعتقد الإمام الدهلوي أن هذا الأساس الفلسفي يمثل روح الجزء التشريعي العملي من المنظومة الإسلامية والمقصود منها بالأساس، والتي اصطلح عليها الإمام الدهلوي بـ "الإحسان"، وعرف في التراث الإسلامي بالتصوف[4].

---

[1] – محمد يوسف، الشاه **ولي الله الدهلوي، موجز عن حياته وأفكاره**، مجلة دعوة الحق، العدد2، السنة15، (صفر 1392هـ/أفريل1972م)، وزارة عموم الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ص64.

[4]– ولي الله الدهلوي، **الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين**، ص157.

[3] –– ينظر: ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، تح: سعيد أحمد البالن بوري، ج2، ص217-218. بتصرف.

[4] – طارق لعجال، **تجارب التأصيل في الفكر الإسلامي بجنوب آسيا – تجربة الإمام الدهلوي أنموذجا**– مقال منشور، في مجلة الإسلام في آسيا، الصادرة عن الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا – المجلد 05، العدد 02، شهر ديسمبر سنة 2008 م، ص84.

وكانت النتيجة أن استقرّ في الأذهان أن هناك نوعا من التصوّف يتلاءم مع مقتضيات الشرع وأن الشريعة لا تأبى الأخذ بوسائل تقوية روح الإخلاص في تأدية الواجبات الدينية. فكفّ العلماء عن الطعن في التصوّف مادام لا يؤدي إلى إهمال الشرع والاستخفاف بهيئات الأعمال[1].

ولذلك ما فتئ يحذر المتصوفة من نبز العلماء، واحتقارهم كما جرت به عادة المنتسبين لهذا الطريق إلا من رحم الله وفي هذا المعنى يقول:" نحن لا نزدري أحدا من العلماء فالكل طالبو الحق، ولا نعتقد العصمة في أحد غير النبي ﷺ... ليس منا ترك ملازمة العلماء أعني الصوفية الذين لهم حظ من الكتاب والسنة، أو الراسخين في العلم الذين لهم حظ في الصوفية..."[2].

رابعا-جمع وتوحيد الطرق الصوفية: لم يكتف الشاه ولي الله برفع الخلاف بين الفقهاء والصوفية، بل عمد إلى التقريب بين الطرق الصوفية المختلفة، فقد كانت الطرق في شبه القارة الهندية متباعدة إلى حد التنافر، وكانت كل واحدة تتبارى وتتسابق فيما بينها للأخذ بقلوب الناس، وكان اتباع كل الطريقة يتعصبون لها وينكرون غيرها مما أدى الى التطاحن بدل الاتفاق والوئام، فأظهر الشاه ولي الله عدم التعصب لطريقة دون أخرى ولم يتحرج من الذكر بالخير لأقطاب جميع الطرق.

وبمساعيه هذه تتجلى قدرته الهائلة على التركيب والإبداع، أو ما سماه بنفسه **علم الجمع بين المختلفات**، محققا في شخصه تلك البشارة النبوية التي تلقاها في المدينة المنورة، وهي: «إن مراد الحق فيك أن يجمع شمل الأمة المرحومة بك»[3].

---

[1] محمد يوسف، الشاه ولي الله الدهلوي، **موجز عن حياته وأفكاره**، ص64.

[2] – ولي الله الدهلوي، **التفهيمات الإلهية**، ج2، ص202.

[2]–المصدر نفسه، ج1، ص41 وأيضا: ج 2، ص249؛

1-6- التأكيد على عقيدة ختم النبوة ومحاربة فتنة التشيع: قلنا سابقا أن الدولة المغولية في الهند قد أثر عليها التشيع منذ عهد "همايون"، وبقي هذا التغلغل الشيعي يتطور شيئا فشيئا داخل البلاط الملكي، فأصبحوا هم المسيطرون على الملوك، والمتصرفين بأمورهم، فكان لهذا أثر عظيم في انعطاف ميول الناس إلى التشيع، وهذا ما صوره لنا الشاه بقلمه البليغ حيث يقول: "إنّ بدعة التشيّع قد ظهرت، وفشت في هذا الزمان، وقد تأثرت قلوب العوام في هذه البلاد بالشبهات، والشكوك التي تثيرها الشيعة، وأصبح أكثرهم يشكون في صحة ثبوت خلافة الخلفاء الراشدين، فقد شرح الله صدر هذا العبد الضعيف لهذا العلم ونوره بنور توفيقه، حتى عرف بعلم اليقين أن إثبات خلافة هؤلاء الأعلام، أصل من أصول الدين، لا يستقيم أي مسألة من مسائل الشريعة ما لم يتمسكوا بهذا الأصل"[1].

والحق أنه كادت تذوب شخصية أهل السنة في الهند بسبب كثرة الشبهات التي أثاروها، لكن الله قيّض رجلا من بينهم للقيام بنصرة أهل السنة، فكان الشاه ولي الله الدهلوي هو الذي اهتم اهتماما كبيرا برد معتقداتهم مثل عقيدتهم أن:

- الإمامة أصل من أصول الدين.
- عصمة الأئمة.
- مسألة خلافة الخلفاء.
- فضيلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وانبرى الرجل لنقض هاته الشبهات في كتب صنفها لهذا الغرض نذكر منها: "المقدمة السنية في انتصار الفرقة السنية"، و"قرة العينين في تفضيل الشيخين"، و"إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء"، وكتابه الأخير أجل كتبه في الرد على الشيعة، حيث كرسه

[1] – الدهلوي، **إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**، ج1، ص29.

لإثبات خلافة الخلفاء الأربعة بالأدلة النقلية والشرعية يقول في موضع من كتابه الآنف الذكر: "إثبات الخلافة العامّة للخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وأنه من أجلِّ البديهيات، وإذا وضعنا معنى الخلافة وشروطها ومقاصدها في عين الاعتبار وتذكرنا أحوالهم التي وصلت إلينا من طرق مشهورة ومستفيضة، لمْ يبقَ لنا مجال الشك في ثبوت شروط الخلافة فيهم، ولاسيما بعد تحقق مقاصد الخلافة على أيديهم على وجه الكمال والتمام، وهذا أمرٌ يعرفه كل عاقل"[1].

والكتاب موسوعة لا يستغنى عنها بحال في مناقشة الشيعة، ودفع شبهاتهم، كما حفل الكتب بتحقيقات نفيسة في أسباب ازدهار الدول وانحطاطها، ويذكر الشاه ولي في أحد مبشراته أنه سأل الرسول ﷺ سؤالا روحانيا عن الشيعة": فأومأ إلى أن مذهبهم باطل، وبطلان مذهبهم يعرف من لفظ الإمام، ولما أفقت عرفت أن:الإمام عندهم هو المعصوم المفترض طاعته الموحى إليه وحيا باطنيا، وهذا هو معنى النبي، فمذهبهم يستلزم إنكار ختم النبوة"[2].

إلا أن الشاه مع انتقاداته الصريحة لهاته الفرقة، لكنه لم يصرح بتكفيرهم ما داموا مؤمنين بالله، ورسوله، وبالقرآن، وهو في هاته القضية موافق لابن تيمية الذي كان يعتبرهم من أهل القبلة ويبدو أن الرأي الذي ذهب إليه الشاه لم يرق للكثيرين من أهل السنة، ويذكر ابنه الشاه عبد العزيز في "ملفوظاته"، أن رجلا من أفغانستان جاء إلى الشاه، فسأله عن الشيعة، فذكر له أقوال المتقدمين من علماء الأمة، ثم ذكر له رأيه فيهم، فكأن الرجل لم يطمئن لرأي الشاه ولي الله، فذهب ثم عاد ثانية، ثم كرر سؤاله الأول، فرد عليه الشاه ولي الله، بمثل ما رد عليه في المرة الأولى، فغضب الرجل وقام

[1] – المصدر السابق، ج1، ص46.

[2]– ولي الله الدهلوي، **الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين**، ص158.

من مجلسه وقال: يبدو أن هذا الرجل من الشيعة !!![1].

والواقع أن الإمام الدهلوي بصنيعه هذا، يكون قد وضع الأسس الفكرية لمحاربة التعصب المذهبي والفكري، وهكذا فتح الدهلوي قنوات للتواصل بين المسلمين وغيرهم عبر آليات تؤسس على منهج التسامح وتزكية النفس والإحسان.

والغريب أن داء الفرقة والتعصب لما فشا في أوربا، لم يؤد إلى تدهور أحوالها وتخلفها فحسب، بل أدى إلى ظهور موجة عاتية من الإلحاد والعلمنة، أتت على الأخضر واليابس فهل من مستفيق؟ وما أشبه اليوم بالبارحة !!

2- القيام بالتدريس وإصلاح النظام التعليمي:

عكف الشاه على التدريس في المدرسة الرحيمية لإنشاء جيل جديد يتشرب أفكاره، ويعمل على نشرها بعده، وبدأ الطلاب يقبلون على مدرسته من كل فج عميق، حتى تكاثر عددهم مما دعا الملك " محمد شاه " (1719م-1748م)، إلى تهيئة مكانا أرحب في "شاه جهان آباد"، في منطقة دلهي القديمة لاستقبال الوافدين الجدد، وبدأ الشاه يدرس هناك بعزم لا يفتر وهمة لا تلين، وكان تركيز الشاه ولي الله منصبا على إدخال تعديلات شاملة في طرق التعليم ومناهجه، بل تجديد منظومة العلوم الإسلامية ككل حتى يضمن تنمية قوى الاجتهاد والخلق والابتكار، كما حاول ما وسعه الجهد على أن يعرض الحقائق الدينية عرضا يتلاءم مع روح العصر.

ويبدو أن هذا الموضوع قد أهم الإمام الشاه، وأخذ حيزا في كتاباته المختلفة، وما ذاك إلا لأن انحطاط التعليم وتخلفه في أمة، مؤذن بتدهور أحوالها، وضمور فكرتها، ولذلك مافتئ الشاه ولي الله يلح على هاته القضية بكل جد، ويلفت الأنظار إليها حتى

[3]- نثار أحمد الفاروقي، **مجهودات الشاه ولي الله الدهلوي في التقريب بين المذاهب الإسلامية**، مقال منشور في مجلة ثقافة الهند، المجلد 44، العدد3-4، عام 1993م، ص 55.

في وصاياه يقول ولي الله الدهلوي: "إن منهاج تدريس العلوم الذي أثبتته التجارب أن يبدأ أولا بتدريس الرسائل الموجزة في الصرف والنحو، وتدرس ثلاث أو أربع رسائل في كل منهما بحسب ذكاء الطالب وحاجته، ثم يدرس كتاب في التاريخ أو الحكمة العملية باللغة العربية. وفي هذه المرحلة يدرب الطالب على الاستفادة من المعاجم اللغوية ومعرفة معاني الكلمات الصعبة منها وإذا اكتسب قدرة في اللغة العربية يدرس موطأ الإمام مالك برواية يحي بن يحيى المصمودي. ولا يهمل هذا الكتاب أبدا لأنه أصل علم الحديث ولتدريسه فوائد كثيرة. وقد تسلسل استماعه إلينا ،ثم يدرس القرآن الكريم بالترجمة وبغير التفسير. وإذا أشكل شيء من النحو أو أسباب النزول يوقف عنده ويناقش. وبعد الفراغ من الدرس يدرس تفسير الجلالين بالقدر الذي تم تدريسه من القرآن الكريم في الدرس. فإن لهذه الطريقة فوائد. ثم يدرس في وقت واحد كتب الحديث مثل الصحيحين وغيرهما وكذلك كتب الفقه والعقيدة والسلوك، وكذلك تدرس كتب المعقولات مثل شرح الملا والقطبي وغيرهما في وقت واحد. وإذا أمكن أن يدرس مشكاة المصابيح يوما وفي اليوم الثاني يدرس شرح الطيبى بالقدر الذي درس في اليوم الأول من مشكاة المصابيح، فإنه نافع جدا"[1].

ولقد أثبتنا هذا النص على طوله لأهميته القصوى لما نحن بصدده لأن الشاه ولي الله قدم فيه مشروعا يكاد يكون متكاملا لتدريس كتب العقيدة، والسلوك، والفقه، والمنطق، والفلسفة بالإضافة إلى القرآن والحديث، ومن المعلوم أن درس الحديث الشريف في الهند قبل الإمام الدهلوي كان حظه في مناهج التعليم كالمعدوم، بجانب العلوم العقلية، فثار الشاه ولي الله، على هذا الوضع، مؤكدا أن الحديث الشريف من

[1] – ولي الله الدهلوي، **المقالة الوضيئة في النصيحة والوصية**، ص209.

المصادر الأساسية التي تستمد منها جملة التصورات الإسلامية. والحقيقة أنه كان أول رجل سعى سعيه في هذا المجال، وبذل الجهد المستطاع في بث معارف الحديث الشريف، فكان سعيه فيه سعيا مشكورا بفضل من الله وتوفيق منه، ولا شك أن ذيوع علم الحديث، وانتشار السنة الصحيحة مما يقرب الطالب إلى الاجتهاد الصحيح، ويدنيه من مصادره الثرة.

أما القرآن الكريم فقد أصبح طلسما يقتصر فهمه ودراسته على العلماء الراسخين، ولا يقصده أحد غيرهم، كما حالت دون وصول هداياته للنفوس ركاما من التصورات لذلك عكف الشاه على ترجمته إلى اللغة الفارسية، وما ذلك إلا لإيمان الشاه ولي الله أن القرآن رسالة للعالم، وأنه كتاب عملي ما نزل ليحشوا الأذهان بركام من التصورات والنظريات الفلسفية، ولكنه نزل ليأمر وينهى، ويحكم على الحياة، وهذا هو المقصد الأساسي من نزوله، وهذا ما غفل بعض الفقهاء الذين منعوا من ترجمة معانيه، وبهذا العمل الفذ استطاع ولي الله أن يخرج بالقرآن من حال التبرك إلى حال التدبر والوعي الذاتي. بل لقراءة القرآن كأنه ينزل عليهم.

والواقع أن الإمام الدهلوي أدرك أن القرآن كتاب حياة، وأنه مخاطب به شخصيا، وكلف بالقيام به، وتبليغ رسالته للبشر عامة، كأنه أنزل في عصره، لافي عصر قبله.

كما ذم الإمام الدهلوي الاهتمام الزائد بالعلوم الآلية، على حساب علوم المقاصد وهذا ما وضحه بقوله:" وأقول لطلبة العلم: أيّها السفهاء المسمّون أنفسكم بالعلماء اشتغلتم بعلوم اليونانيين وبالصرف والنحو والمعاني، وظننتُم أنّ هذا هو العلم، إنّما العلم آية مُحكمةٌ من كتاب الله تعالى، أن تتعلّموها بتفسير غريبها، وسبب نزولها وتأويل معضلها، أو سنة قائمة من رسول الله ﷺ أن تحفظوا كيف صلّى النبي ﷺ؟ وكيف توضّأ، وكيف كان يذهب لحاجته؟ وكيف يصوم؟ وكيف يحجّ؟، وكيف

يجاهد؟ وكيف كان كلامه؟ وحفظه للسانه؟ وكيف كانت أخلاقه؟. . . كان مرضي الحق أن تشتغلوا بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ ابتداء، فإن سهل عليكم الأخذ بهما فبها ونعمت، وإن قصرت أفهامكم فاستعينوا برأي من مضى من العلماء، ما تروه أحق، وأصرح، وأوفق بالسنة، وأن لا تشتغلوا بالعلوم الآلية إلا بأنها آلة لا بأنها أمور مستقلة، أما أوجب الله عليكم أن تشيعوا العلم حتى يظهر شعائر الإسلام في بلاد المسلمين، فلم تظهروا الشعائر، وأمرتم الناس أن يشتغلوا بالزوائد"[1].

ومن أجلِّ إصلاحاته في التعليم تطبيقه بين الحديث والفقه، إذ وطّد العلاقة بينهما، كما بينا ذلك قبل، ولا نرى حاجة إلى إعادة تكراره في هذا الموضع.

كما لم يهمل الاهتمام بعلم التزكية وكان لا يقبل التفريق بين التربية والتعليم، مدركا أن التعليم وحده لا يعلم عين الطالب الدموع ولا قلبه الخشوع كما يقول إقبال، وكان الشاه يعلم علم اليقين أن الدين ليس إدراك، بل هو فعل، وأنه ليس نظر بل هو سلوك، وتقديم الدين على هذا الأساس يكفل مبدأ أساسيا لدى الشاه ولي الله وهو أولية الإنسان.

ومن الأمور التي اهتم شاه ولي الله إنشائه لعلم جديد هو "علم الارتفاقات"، بحيث يكون العدل فيه هو المرتكز باعتباره حجر الأساس في بناء المجتمع، وهو بهذا العمل يحدد أحد أضلاع الرؤية الكونية التوحيدية للعالم، كما ركز الدهلوي في مبحث الارتفاقات على الفطرة. والغريب أن إثارته لهذا المبحث كان متزامنا مع "جون جاك روسو".

ويفهم من كلام الدهلوي عن الفطرة أنه يقصد بها الاستعداد الذاتي والميل

[1] – الدهلوي، **التفهيمات الإلهية**، ج 1، ص214.

الطبيعي الذي زود به الإنسان، والذي يدفعه إلى التصرف بانسجام مع النظام العام الذي بثّه الله في العالم.

ويؤكد الدهلوي أن هذا النظام التكويني لا يلزم أن يوافق النظام التشريعي الذي بعث به الأنبياء فحسب، بل يلزم منه أن يمده ويتعاون معه، ويخدم أغراضه ومقاصده.

ومن الطريف أن نجد الشاه انتبه إلى أهمية التخصص العلمي قبل أن تعرفه الحضارة المعاصرة يقول ابنه عبد العزيز: "إن الوالد المحترم كان قد أعد شخصا في كل فن وعلم، وكان يسلم طلاب ذلك الفن والعلم له، أما هو فكان مشغولا بالوعظ والكتابة وتدريس الحديث".

3- **جهوده في فن التوجيه والتغيير:**

وفيما يتعلق بتغيير الأوضاع القائمة فقد كانت فلسفته قائمة على النصح الخالص وإصلاح الناس بالإرشاد والتذكير، وتربية الرجال الأكفاء.

3-1-الوعظ والإرشاد والتذكير: ومن الأعمال التي أثرت تأثيرا مباشرا في حياة المسلمين بالهند في عصر الإمام الدهلوي هي تلك الإسمعيات التي كان يوجهها إلى عامة طبقات المجتمع المسلم، وكان لا يريد من ورائها جزاء ولا شكورا، حيث كان الإمام يتخول الملوك والنواب خاصة بالنصح الخالص بغية دعم روح الائتلاف بين المسلمين، ولتنبيه القلوب الغافلة، وليبث العزم في النفوس الخائرة؛كي تهب وتستفيق وتقوم بما يجب عليها، وتعيد أمجاد الماضي وتسترد نسماته العطرة، بدل الاصطدام مع الحكام والوقوف لهم بالمرصاد يقول في موضع من كتابه التفهيمات الإلهية موجها خطابه إلى السلاطين:"أقول للملوك: أيها الملوك المرضيُّ عند الملأ الأعلى في هذا

الزمان أن تَسلُّوا السيوف ثمّ لا تغمدوها حتّى يجعل الله فرقانا بين المسلمين والمشركين، وحتّى يلحق مردة الكفار والفُسّاق بضعفائهم، لا يستطيعون لأنفسهم شيئا، وهو قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُم حتىَّ لا تَكُونَ فِتنَةٌ ويَكُونَ الدِّينُ للهِ﴾، (البقرة، الآية: 193). فإذا ظهر الفرقان فرضى الملأ الأعلى أن تنصبوا في كل ناحية وفي كلّ مسيرة ثلاثة أيام وأربعة أيام أميرًا عادلاً، يأخذ للمظلوم حقّه من الظالم، ويقيم الحدود..."[1].

كما يتوجه بإسمعياته إلى العسكر فيقول: "وأقول للعسكر: أيّها العسكر! أخرجكم الله للجهاد، ولتظهروا كلمة الحق، وتكبتوا الشرك وأهله، فتركتم ما أخرجكم لأجله، واتخذتم رباط الخيل وحمل السلاح كسبًا، تستكثرون به أموالكم من غير نية الجهاد وقصده، شربتُم الخمر والبنج، وحلقتم اللحى وأعفيتم الشوارب، وظلمتم النّاس ولم ينالوا ممّا تأكلون، فو الله إلى الله سوف ترجعون، فينبئكم بما كنتم تعملون. . . "[1].

ولم يكتف الإمام الدهلوي بتوجيه هاته الإسمعيات للسلاطين، والأمراء، والجند وحسب، ولكنه راح يتفحّص أحوال طبقات الأمة ليعرف أدواءها وانحرافاتها، ومواضع ضعفها ومن ثمّ تقويمها وإصلاح الفاسد منها، وفي هذا المعنى يقول لأصحاب الحرف والصنائع:"وأقول للمحترفة: ضاعت أماناتكم، وذهلتم عن عبادة ربّكم، وأشركتم بربّكم، وذبحتم لطواغيتكم، وحججتم إلى "المدار"، و"السالار"، فبئس صنيعكم ذلك... إنّ الله هيّأ لكم من الكسب ما يكفي لكم ولذوي حقوقكم إن أنتم اقتصدتم واكتفيتم بما يكون بُلغة إلى المعاد، فكفرتم بنعمة ربّكم، وأسأتم التدبير، أما تخافون عذاب جهنّم وبئس المهاد.."[2].

---

[1]- الدهلوي، **التفهيمات الإلهية**، ج 1، ص216.

[1]- المصدر نفسه، ج 1، ص216-217.

[2] -المصدر نفسه، ج1، ص217.

والواقع أن الشاه ولي الله لم يترك طبقة من طبقات المجتمع إلا اتجه إليها بعظاته، مبينا من خلالها العلل والأرزاء التي يتخبطون فيها، مقترحا الحلول التي تعزز من حضارة المسلمين في الهند وخارجها، وتأمل قوله مخاطبا الأمة الإسلامية جمعاء:"وأقول لجماعات المسلمين عموما خطابا واحدا يا معاشر بني آدم فسدت أخلاقكم، وغلب عليكم الشحّ، واستحوذ عليكم الشيطان، وزأرت النساء على الرجال، وغمط الرجال على النساء واستطبتم الحرام، واستبشعتم الحلال، فو الله إن الله ما كلف نفسا إلا ما تطيق...."[1].

كما أنه اتخذ خطوات جريئة لبث تعاليم الإسلام بين الجماهير المتمرغين في الجهل والمحرومين من التوجيه الديني الصحيح، حيث كان يلقي دروسا في التفسير التحليلي، كان آخردروسه كما يذكر ذلك عبد الحي الحسني مؤرخ الهند الكبير حول قوله تعالى: ﴿ **اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ (المائدة، الآية 8) [2].

والواقع أن ترجمته للقرآن الكريم، ودروسه المنهجية المنظمة مأثرة تجديدية وإصلاحية لم يسبق إليها. وقد استمر على نفس النهج ابنه الشاه عبد العزيز لمدة ثلاثة وستين عاما.

3-2-إحياء الربانية أو الدعوة إلى (علم الإحسان): وتأكيد قيمة الإنسان، وتوضيح الطريق الذي يؤدي إلى خلافة الإنسان أو النيابة عن الله وقد برز هذا المنحى في كتبه التي اهتمت بمبحث "الإحسان"بخاصة، ولا أدل على اهتمامه بهذا المبحث اعتباره لكلية تزكية النفس، وبناء الإنسان مقصدا من مقاصد الدين العليا.

[1] – المصدر السابق، ج1، ص217.

[2] – عبد الحي الحسني، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، ج7، ص 1014.

وفي كتبه نجده يلوح إلى أهمية الذكر، ويبين فوائده في رفع حجب الغفلة، كما يؤكد أنه أكسير أحمر في تحرير روح الفرد، وتخليصه من كل الشوائب المضللة التي تنأى به عن إدراك تبعيته الأصلية، وعبوديته الحقة لمولاه يقول الإمام الدهلوي:"ولا إله إلا الله لها بطون كثيرة، فالبطن الأول طرد الشرك الجلي، والثاني طرد الشرك الخفي، والثالث طرد الحجب المانعة عن الوصول إلى معرفة الله"[1]. وإليه الإشارة في قوله ﷺ:"لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه"[2].

ويحذر الإمام الدهلوي من عوائق تحول دون وصول هذا الأساس إلى الكمال، وإلى الغاية المرجوة منها وبحصرها في اثنتين:

أولا – النظر إلى الأعمال من حيث إيصالها إلى هيئات نفسانية قويمة، لأن الأعمال قد لا تؤدي إلى أرواحها، كأن يؤدى العمل على وجه الرياء أو العادة [3].

ثانيا- النظر إلى تلك الهيئات النفسانية لمعرفتها حق المعرفة، وذلك لمباشرتها على بصيرة مما أريد منها فإن من لا يعرف المقصود من الآلات كاد إذا استعملها أن يخبط خبط عشواء، أو يكون كحاطب ليل [4].

كما نجده يرشد إلى أهمية السلوك للوصول إلى الكمال، وتذوق حقائق هذا الدين، ويشير أن سبيل مقاومة إغراءات المادية تكون بصحبة الصالحين من عباد الله. كما نجده يثني خيرا على أئمة أرباب السلوك مثل "عبد القادر الجيلاني"، و"نظام الدين

[1] – ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، ط بيروت: دار الثقافة، (د، ت)، ج2، ص233–234

[2] – أخرجه: الترمذي، **السنن**، 49كتاب الدعوات، 87 باب حديث رقم الحديث 3815. تح: عبد الرحمن محمد عنان، ط بيروت: دار الفكر العربي 1983م، وقال: الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي، ج5، ص356.

[3] – ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، تح: سيد سابق، ج2، ص 104.

[4] – المصدر نفسه، والصفحة.

الجشتي"، و"بهاء الدين النقشبندي"، و"أبو الحسن الشاذلي" هذا الأخير الذي شرح أحد أحزابه وهو "حزب البحر"، وسمى كتابه الهوامع.

لكن هذا لا يعني أن الإمام الدهلوي يقر واقع الصوفية الذي شاهده في عصره، لذلك نجده يرد على ترهاتهم حيث يقول: "إن هؤلاء المتصوفة الضالة المضلة في زماننا هذا أشهد لله بالله عليهم أنهم فرقة نابتة في الإسلام ليست من أصل الإسلام، كما أن الزارع يزرع الحب وبالغاية ثم يسقيه الماء فينبت من غزارة الماء وسهولة الأرض أنواع من الكلأ والعشب، لا يتم أمر الزارع إلا بقطعها وإتلافها"[1].

وكذلك نجده يشير إلى غلاة جهلة الصوفية بقوله:" كل من ذهب إلى بلدة "أجمير"، أو قبر "سالار مسعود"، أو ما ضاهاها لأجل حاجة يطلبها، فإنه آثم إثما أكبر من القتل والزنا، ليس مثله إلا مثل من كان يعبد المصنوعات، أو مثل من كان يدعو اللات والعزى، إلا أنا لا نصرح بالتكفير لعدم النص من الشارع في هذا الأمر المخصوص، وكل من عين حيوان الميت، وطلب منه حوائج، فإنه آثم قلبه داخل في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾. (المائدة، الآية:3)، وإذا أمر عارف رجلا مريدا أن يشتري الخمر وغير ذلك مما لم يبحه الشارع، كما وقع لشمس الدين التبريزي مع مولانا الرومي، فينبغي للمأمور أن لا يفعله وليعتذر عذرا بينا"[2].

كما انتقد المتمسكين بكلام العشاق الذين يرجحون الشطحات على الابتهال والعبودية وهي أعلى مراتب الولاية، لأنها المرتبة التي تشرف بها النبي ﷺ.

ومن الأشياء التي ينبغي أن تذكر، ويشكر عليها الإمام هي موائمته بين التصوف والشريعة، وإخضاع الطريقة لها، بعدما كاد التصوف أن يصبح مدرسة مستقلة بذاتها،

[1] – ولي الله الدهلوي، **التفهيمات الإلهية**، ج1، ص305.
[2] – المصدر نفسه، ج2، ص 45.

ذلك لأن مشايخ الصوفية اقتصروا على المعارف والأحوال والمواجيد والأذواق، واعتبروا هذا هو مقصد الدين الأسمى، وأضربوا عن الشريعة صفحا، مما أوشك أن يؤدي إلى التمايز التام بين الاثنين، وبخاصة لما ادعى البعض أن الكشف لا يخطئ أبدا، وأن عند الوصول تسقط عن السالك التكاليف الشرعية.

فكان الدهلوي من أكبر الدعاة المرشدين إلى ضرورة العودة إلى الشريعة والانخراط في سلك النبي ﷺ واقتفاء آثاره، والحرص على اتباع سنته وهديه، و أن السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة منوطة بذلك، فسد بذلك باب الإلحاد على كثيرين ممن يتزيون بزي التصوف وهو منهم براء، وقد استطاع بقوة تأثيره أن يمنع الفكر الصوفي من الانزلاق إلى هذا المستنقع الآسن والدرك الهابط.

ولاشك أن هذا نقد أساسي يوجهه الدهلوي إلى متصوفة زمانه، ذلك لأن التصوف في نظر الدهلوي شهادة لله عز وجل، وعمل يهز واقع الحياة، وليس لقلقة فارغة تلوكها الألسن.

ولنتأمل أحد خطاباته التي وجهها إلى المنتسبين إلى طريق الصوفية:" أقول لأبناء المشايخ المترسمين برسم آبائهم من غير استحقاق يا أيها الناس مالكم تحزبتم أحزابا، واتبع كل رأي رأيه وتركتم الطريقة التي أنزلها الله على لسان محمد ﷺ رحمة بالناس ولطفا بهم، وهدى لهم، فانتصب كل واحد منكم إماما، ودعا الناس إليه، وزعم نفسه هاديا مهديا وهو ضال مضل، نحن لا نرضى بهؤلاء الذين يبايعون الناس ليشتروا به ثمنا قليلا، أو ليشوبوا أغراض الدنيا بتعلم علم، إذ لا تحصل الدنيا إلا بالتشبه بأهل الهداية، ولا بالذين يدعون إلى أنفسهم، ويأمرون بحب أنفسهم، هؤلاء قطاع الطريق دجالون كذابون مفتونون، فتانون إياكم وإياهم، ولا تتبعوا إلا من دعا إلى كتاب الله، وسنة رسوله، ولم يدع إلى نفسه، ولا نرضى بإشاعة إشارات الصوفية في المجالس

والمحافل، إنما المرضي الإحسان، أما لكم عبرة في قول الله تبارك وتعالى:﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾. (الأنعام، الآية:153)"[1].

ومع هذه الانتقادات التي وجهها إلى رجال الطريقة الصوفية، فإنه كان يرى أن طريقة الإحسان والسلوك أنفع الوسائل لتزكية القلوب وتطهيرها لمعرفة الله سبحانه والتقرب إليه ولذلك كان أول من أدخل تدريس علم الإحسان في المقررات الرسمية.

والواقع أن الإمام كان صاحب دعوة إسلامية خالصة كانت تعد لثورة فكرية تسبق البعث السياسي الذي كان الإمام يبشر بقرب ظهوره، دعوة تعمل على قيام دولة إسلامية حقّة على عهد الخلافة الراشدة لا تريد في الأرض علوا ولا فسادا، دعوة لا تقصد إلا هداية الناس، وإسعاد النفوس وخدمة الخلق، والنصح الخالص، والإشفاق على مصير بني آدم.

وقد أثرت هذه المآثر في تلامذته وأبنائه إذ لم يعرف تاريخ الهند الإسلامي على سعته مثل جماعته واتباعه في الصلابة في الدين، والاستقامة على الشريعة، وحبّ الجهاد. فلقد استطاع الشاه ولي الله أن يعد رجالا، وأن يربي تلامذة حملوا لواء الإصلاح في كل مجالات الحياة من بعده وهم كثر. ولهذا كان من الطبيعي أن تنشأ بعد فترة وجيزة من بعيد وفاته حركة المجاهدين بقيادة "أحمد بن عرفان" و"إسماعيل الشهيد" حفيد الإمام الدهلوي لإقامة النظام الإسلامي على أرض الواقع في إقليم "سرحد" الحالي في منطقة باكستان، وأن تتوالى بعد ذلك الحركات التجديدية في شبه القارة الهندية.

[1] – المصدر السابق، ج1، ص214.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بدأ بالنعم قبل استحقاقها، وخصَّ من شاء معرفة الأسماء الحسنى وأذواقها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المحلّى بتيجان الكرامات وأطواقها، وعلى آله، وأصحابه الذين بهم قيام الملّة ونفوق أسواقها. أما بعد.

فيقول العبد الفقير ولي الله بن عبد الرحيم -غفر الله له- ولوالديه، وعاملهم بالحسنى، هذه رسالة موجزة سميتها: بـ "بالجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف".

[ولادته وما سبقها من مبشرات]

فاعلم أن الفقير ولد في صباح يوم الأربعاء عند شروق الشمس، الرابع من شهر شوال عام (1114 هـ)، وقد ذكر بعض علماء الفلك أن تلك السنة كانت سنة اقتران الشمس بعطارد. وخرجوا تاريخ ولادته بـ"عظيم الدين".

وقد رأى الوالدان الكريمان، وجماعة من الصالحين كثيراً من المنامات الصالحة والمبشرات قبل ولادتي وبعدها أيضاً، وقد دوّن هذه المنامات بالإضافة إلى أحداث أخرى بعض الأعزاء في كتاب سماه: "القول الجلي في آثار الولي"[1]. جزاه الله خير الجزاء وأحسن إليه وإلى أسلافه وأعقابه.

[دراسته الأولى]

ولما بلغتُ الخامسة من عمري أرسلوني إلى الكتّاب، وفي السابعة من عمري عوَّدَني الوالد الكريم على الصلاة والصيام، كما تم اختتاني في السنة نفسها. وأتذكر بأني ختمت القرآن الكريم في نهاية هذه السنة، لأبدأ قراءة الكتب الفارسية والمختصرات

[1] - يشير إلى كتاب: محمد عاشق الفلتي، **القول الجلي في ذكر آثار الولي**، مع ترجمة أوردية بقلم محمد تقي أنور علوي، ط1. لاهور: مسلم كاتبوي (د. ت).

العربية، وفي السنة العاشرة من عمري أخذتُ أقرأ "شرح الملا جامي للكافية"، واتسعت لي طرق المطالعة والتحصيل.

[زواجه]

وفي السنة الرابعة عشرة تم زواجي، وأسرع السيد الوالد في موضوع الزواج، ولما اعتذر أصهاري عن تحمل أعباء هذا الأمر واستمهلوه، كتب إليهم السيد الوالد: أن في هذا التعجيل سرًّا، وقد انكشف هذا السرّ فيما بعد، لما ماتت أم زوجتي بعد الزواج مباشرة، ثم توفي جدها من قبل الأم بعد قليل، ثم مات الشيخ فخر العالم ابن عمي الشيخ أبو الرضا محمد -قُدس سره- ثم ماتت بعده أم أخي الكبير الشيخ صلاح الدين.

[مرض الوالد]

وبعد هذه الوقائع والفجائع تسرب الضعف الشديد إلى جسم والدي الكريم وانهد كيانه، وبدأ يتعرض لأمراض مختلفة حتى توفاه الله. وبعد هذه الأحداث الجسام تفكك شمل الأسرة الكريمة، وعلِم الجميع أن زواجي إذا لم يتم في ذلك الحين، ما كان ممكناً إلى سنوات بعد ذلك.

[تحصيله العلمي وبيعته في السلوك]

وبايعتُ يد الوالد الكريم في السنة الخامسة عشرة من العمر، واشتغلت بأشغال المشايخ الصوفية وخاصة النقشبندية، وأُلبست الخرقة الصوفية.

وقرأت في نفس السنة جزءًا من "تفسير البيضاوي"[1]، وبهذه المناسبة أعد الوالد الكريم مأدبة عظيمة دعا إليها الناس عامتهم وخاصتهم، وأطعمهم طعاماً كثيراً

[1] – كأن الدهلوي أنهى بدراسة تفسير البيضاوي المنهاج الدراسي في تلك الأيام بالديار الهندية.

وأجازني للتدريس.

وحاصل الكلام أني فرغتُ من العلوم والفنون السائدة في هذه البلاد وأنا في الخامسة عشرة من العمر، وكنت قد قرأت في علم الحديث كتاب "مشكاة المصابيح" سماعا من والدي، بقراءة بعض أقراني، إلا طرفاً يسيراً أعني من "كتاب البيوع إلى كتاب الآداب" ولكني تداركت ما فات عني بالإجازة. وقرأت "صحيح البخاري" إلى كتاب "الطهارة" تقريباً، و "الشمائل للترمذي" كله، كما قرأت في التفسير طرفاً من "المدارك" و "البيضاوي". وكان من فضل الله عليّ أن وفقني لحضور دروس معاني "القرآن الكريم" والبحث عن أسباب النزول، والنظر في كتب التفاسير، عند الوالد الكريم وهو مما فتح عليّ باباً عظيماً من أبواب الخير والبركة، والحمد لله على ذلك.

وقرأتُ من الفقه "شرح الوقاية" و "الهداية" إلا جزءً صغيراً منهما، ومن أصول الفقه "الحسامي"، وجزءاً كبيراً من "التوضيح والتلويح"، ومن المنطق "شرح الشمسية" كله، وجزءاً من "شرح المطالع"، وفي علم الكلام "شرح العقائد النسفية" كله، وجزءاً من "حاشية الخيالي" و"شرح المواقف"، وفي علم السلوك شيئاً من "عوارف المعارف" وبعضاً من "الرسائل النقشبندية" وغيرها، وفي علم الحقائق "شرح الرباعيات" لمولانا الجامي، و"اللوائح" بالإضافة إلى "مقدمة شرح اللمعات" و"مقدمة نقد النصوص"، وفي فن خواص الأسماء والآيات قرأت بعض المجموعات مما عمله الوالد الكريم وأجازني في ذلك. وفي علم الطب "الموجز"، وفي الفلسفة "شرح هداية الحكمة" وغيره، وفي علم النحو "الكافية" و"شرحه للملا جامي". وفي علم المعاني "المطول"، والجزء الذي علق عليه الملا زادة من "مختصر المعاني"، وفي علم الهيئة والحساب بعض الرسائل المختصرة. وأحمد الله تعالى على أن دراسة هذه الكتب

أيام التحصيل العلمي أكسبتني نوعا من العلاقة بكل علم وفن، ورسخ في ذهني أهم قضاياه وأبرز مباحثه ووعاها قلبي.

[تربية الوالد وعطفه وإجازته للتسليك ووفاته]

ولما بلغتُ في السنة السابعة عشرة من عمري، مرض والدي وانتقل إلى جوار ربه، وفي المرض الذي مات فيه أجازني لأخذ البيعة والإرشاد وكرر "يده كيدي". وكان من أعظم نعم الله -تعالى- عليّ أن كان والدي راضياً عني بمنتهى الرضى، وانتقل إلى- رحمة الله - وهو في هذه الحالة. وكان والدي يعطف عليّ ويراعي حقوق البنوة بكل لطف ودقة، لا يعدله عطف أي أب على ابنه، ولا شفقة أي أستاذ بتلميذه، ولا رأفة أي مرشد بمريده. اللّهم اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما رباني صغيراً، وجازهما أضعاف أضعاف ما أنعما عليّ من شفقة ورحمة ونعمة، إنك قريب مجيب.

[تدريسه ونبوغه العلمي]

وبعد وفاة والدي الكريم اشتغلت بتدريس الكتب الدينية والمعقولات نحو اثني عشر عاماً، وتيسر لي في هذه المدة إمعان النظر في كل علم وفن. وحصل لي أثناءها الفتح الأعظم في التوحيد والجذب، وحظ وافر في السلوك، وانهالت علي العلوم الوجدانية انهيالا على قلبي. وكان ذلك عقيب زيارة لقبر الوالد – رحمه الله-.

[زيارته للحرمين واستفادته من علمائها]

ثم تقتُ إلى زيارة الحرمين الشريفين، وتشرفت بأداء مناسك الحج في آخر سنة 1143 هـ، ثم جاورت بيت الله الحرام وزرت المدينة المنورة، وتتلمذت على الشيخ أبي طاهر المدني وغيره من العلماء أروي الحديث عنهم. وكانت الروضة المطهرة محط أنظاري خلال وجودي بالمدينة المنورة، ففاض عليّ من الفيوض والبركات ما لا أقدر

وصفه، كما سعدت في هذه الرحلة بصحبة ومجالسة كثير من علماء الحرمين الشريفين وغيرهم. ولبستُ الخرقة الصوفية من الشيخ أبي طاهر المدني، ولعلها حاوية لخرق الصوفية كلها، وفي نهاية هذه السنة (أي سنة 1144 هـ) قمت بأداء مناسك الحج (أي للمرة الثانية) ثم عدتُ إلى الهند في أوائل سنة 1145 هـ وانتهيت إلى الوطن المألوف في يوم الجمعة العاشر من شهر رجب سنة 1145 هـ في كنف الصحة والسلامة.

[جمعه بين العلوم والفضائل]

وامتثالاً للآية القرآنية: ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾. (الضحى، الآية، 11) أقول: إن منّة الله العظمى على هذا العبد أن أولاه "الخلعة الفاتحية"، وعلى يده فُتح هذا العهد الأخير، ومما وفقني الله تعلى للقيام به من الأعمال: تدوين المرضي والمختار في علم الفقه، واختيار طريقة الفقهاء المحدثين في المسائل الفقهية، وتشييد الصرح العالي لهذا الفن الشريف، فقمتُ بضبط أسرار السنن، ومصالح الأحكام، وسائر ما جاء رسول الله ﷺ من ربه، وقام بتعليمه.

والحق أن هذا الفن لم أُسبق في تدوينه، ولم يحكم الكلام فيه أحد ما أحكمه الفقير مع أنه فن جليل الشأن، والذي يشك في كلامي فلينظر إلى كتاب:"القواعد الكبرى"[1] للشيخ عز الدين -رحمه الله تعالى- وقد بذل جهداً كبيراً في هذا الكتاب مع ذلك لم يصل إلى معشار عشر هذا الفن.

وأما السلوك فأُلهم الفقير ما يرضاه تعالى منه في هذا الأوان وينجح في هذه

1- هو العلامة العز بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء، من أشهر مؤلفاته: " قواعد الأحكام في مصالح الأنام "، " القواعد الصغرى "، يعد من مؤسسي علم المقاصد، من أهم تلاميذه ابن دقيق العيد، توفي عام (660 هـ). انظر في ترجمته: تاج الدين السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، ط2. دار هجر 1413هـ، ج8، ص209.

الدورة، وهذا المسلك في البيان جاءني عن طريق الإلهام، فكان النجاح عظيما. وقد ضبطت ذلك في رسالتين هما: "اللمعات" و"ألطاف القدس".

وأثبتُ عقائد متقدمي أهل السنة بالأدلة والحجج القطعية، وطهرتها من قذى أصحاب أهل المعقول بحيث لم يبق هناك مجال للنقاش والجدل، وأفاض الله تعالى عليّ علم الكمالات الأربعة وهي: الإبداع، الخلق، التدبير، والتدلي، والعلمين الأخيرين: "التدبير" و"التدلي"[1] من الدرجة العالية بمكان حيث لم يصل إليه أحد قبلي.

وأُعطيتُ حظاً وافراً عن الحكمة العملية، ووفقني الله -تعالى- أن أشيِّدها بالكتاب والسنة وآثار الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وبتمييز العلم الحقيقي المنقول عن النبي ﷺ عن المحرف المدخول، وتمحيص السنة السنيّة عن بدع الطوائف والفرق غير المرضية.

ولو أن لي في كل نبت شعرة لساناً لما استوفيتُ واجب حمده.

والحمد لله رب العالمين.

[1] – ويقصد بهما علم استعداد النفوس، وما فيه كمال كل نفس ومآلها.

الخاتمة

إن البحث المتقصي في حياة الدهلوي وآثاره الفكرية، ومآثره العملية، وكذلك في جهود أبنائه الكرام، وخلفائه الكبار في خدمة الملّة، يسفر أن الرجل شخصية هامة في تاريخنا الفكري والروحي، وترجع هذه الأهمية إلى خصوبة آراء وفاعليتها، وأول ما يلفت النظر في هذه الشخصية، هو تلك الثورة التجديدية التي عرف بها في أفكاره من أجل إصلاح الأوضاع الفكرية الاجتماعية، وإخراج الأمة من حال التّرهل والتجزئة، إلى حال الائتمانية والوحدة، ويمكن تلخيص مميزات هذا التجديد في الآتي:

1- إن التجديد الذي أتى به الرجل كان تجديدا شاملا شمل جميع مناشط الحياة، فلم يقتصر على جانب دون جانب، وإنما شمل الجانب العلمي والعملي، ولم يكتف بالتنظير الفكري، وإنما عني بالأفكار من حيث تطبيقاتها في الحياة العملية. كما لم يكن تجديد الدهلوي محدودا في إصلاح العقائد ومجانبة البدع المحدثة في الدين، كما فعل بعض معاصريه، أو إصلاح الجانب الروحي فقط، وإنما كان ثورة جذرية بأتم ما تعنيه هذه الكلمة. حيث كان لد دور حيوي على المحافظة على الكيان الإسلامي في شبه القارة الهندية.

2- إن المتأمل في تراث الإمام الدهلوي يكتشف أن بنية تفكيره بنية مقاصدية أهدافية، وقد انعكس هذا على مشروعه الفكري، حيث مكنه ذلك من أن يضع هذا المشروع في سياق نظريته في العدالة الاجتماعية، كما لمحت سبق للإمام الدهلوي في تمييزه بين مقاصد الدين العليا، ومقاصد الشريعة.

3- إن أهم شيء يلفت الانتباه في مساعي الإمام الدهلوي التجديدية هو الواقعية، وقد برزت هاته الواقعية في فهمه للواقع الهندي، واستجابة تجديده لما يطرحه الواقع من إشكالات، ذلك لأن أي إصلاح مأمول إذا لم يراع هاته القاعدة

كان كصيحة في وادي أو نفخة في رماد.

4- قامت دعوة الإمام الدهلوي على جمع شمل المسلمين، والتقريب فيما بينهم، والدعوة إلى نبذ داء التشرذم، والعصبية والتشظي التي ظهرت عند المسلمين.

5- كما امتازت دعوة الإمام الدهلوي بسمتها الإنسانية، فقد متفطنا لحاجة البشرية إلى التعاون والتسامح، ونبذ العصبية، وقد برز هذا المنحى في نظريته في الارتفاقات.

6- إن الإمام الدهلوي كان أول من ترجم القرآن إلى اللغة الفارسية التي كانت هي اللغة الرسمية للهند في ذلك العهد، ففتح بصنيعه هذا الباب على من جاء بعده، حيث استنهضت الكثيرين لترجمة معاني القرآن إلى لغاتهم. **التوصيات:**

1- العمل على ترجمة تراث الإمام الدهلوي كله إلى اللغة العربية، وإصدارة كاملا في مجموعة واحدة، وإخراجها في حلة قشيبة تليق بمكانة الرجل الفكرية.

2- أدعو الجهات المعنية من رؤساء الجامعات إلى إقامة ندوة علمية بغية التعريف به، لأبناء أمتنا، واستخراج اللآلئ التي نثرها في كتبه وبخاصة في موضوع الارتفاقات، ومسألة التعايش السلمي، وتقبل الآخر.

3- الاهتمام بتراث أبنائه، والعمل على طبع أعمالهم في العالم العربي.

4- يوصي الباحث بالاهتمام بموضوع أئمة التجديد في الفكر الإسلامي وإدراجه ضمن المقررات الدراسية لما بعد التدرج على الأقل.

فهرس المصادر والمراجع

أولا- المصادر:

أ- القرآن الكريم برواية حفص.

ب- مؤلفات شاه ولي الله الدهلوي، ت1176 هـ.

1- إتحاف النبيه فيما يحتاج إليه المحدث والفقيه، تح: محمد عطاء الله الفوجياني، ط1. لاهور: المكتبة السلفية 2003م.

2- إزالة الخلفاء عن خلافة الخلفاء، تر: محمد بشير السيالكوتي، والشيخ إرشاد الحق الأثري، ط1. إسلام آباد: دار العلم باكستان 2016م. .

3- التفهيمات الإلهية، ط1. دابهيل: منشورات المجلس العلمي 1935م.

4- حجة الله البالغة، تح: سيد سابق، ط1. بيروت: دار الجيل، 2005م.

5- حجة الله البالغة، تح: محمد سالم هاشم، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1995م.

6- حجة الله البالغة، تح: سعيد أحمد يوسف البالن بوري، ط3. دمشق: دار ابن كثير، 2017م.

7- الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين، تحقيق: محمد عاشق إلهي البرني المدني، ط1. ديبوند: دار الكتاب: 1418هـ.

8- عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، تح: محمد علي الحلبي الأثري، ط1. الشارقة: دار الفتح 1995م.

9- الفوز الكبير مع فتح الخبير بما لابد من حفظه في علم التفسير، تح: محمد أنور البد خشاني ط3. كراتشي، بيت العلم 2006م.

10- فيوض الحرمين مه أردو ترجمة سعاد تكونين، تر، ذاكر عبد الجبار عابد لغاري، ط1. حيدر آباد 2007م.

رابعا- المراجع بالعربية:

□ الأفريقي، (ابن منظور، ت).

11- لسان العرب، ط1، بولاق: المطبعة الأميرية بمصر 1300هـ.

□ **ابن الألوسي، (نعمان خير الدين).**

12- جلا ء العينين في محاكمة الأحمدين، تح: الداني آل زهوي، ط1. بيروت: المكتبة العصرية، 2006م.

□ **الأهدل، (عبد الرحمن بن سليمان).**

13- النفس اليماني، تح: محمد عبد الله الحبشي، ط1. الرياض: دار الصيمعي 2012م.

□ **الترهتي، (محمد محسن).**

14- اليانع الجني من أسانيد الشيخ عبد الغني، تح: ولي الدين الندوي، ط. عمان: أروقة للدراسات والنشر 2016م.

□ **الحسني، (عبد الحي).**

15- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ط. بيروت: دار ابن حزم، (د. ت).

16- الثقافة الإسلامية في الهند، المسمّى، ط2. دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1983م.

□ **ابن خلدون، (عبد الرحمن).**

17- المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، ط1. نشر بيت الفنون والعلوم والآداب، 2005م.

□ **الخولي، (محمد عبد العزيز).**

18- تاريخ فنون الحديث النبوي، تح: محمود الأرناؤوط وآخرون، ط1، دمشق: دار ابن كثير، 1407هـ.

□ **السبكي، (تاج الدين).**

19- طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، ط2. دار هجر 1413هـ.

□ **السيالكوتي، (محمد بشير).**

20- الإمام المجدد المحدث – الشاه ولي الله الدهلوي – حياته ودعوته، ط1. بيروت: دار ابن حزم، 1999م.

□ **ابن عاشور، (محمد الطاهر).**

21- تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة، تونس: الشركة التونسية للنشر والتوزيع 1985م.

□ **العفاني، (سيد حسين).**

22- زهر البساتين من مواقف العلماء الربانيين، ط1. القاهرة: دار العفاني، (د، ت).

□ **الفريوائي، (عبد الرحمن عبد الجبار).**

23- جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم، ط1. مطبوعات الجامعة السلفية، بنارس: الهند، 1980م.

24- جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة، ط1. بنارس: مطبوعات الجامعة السلفية، 1980م.

□ **القنوجي، (صديق بن حسن)**

25- الحطة في ذكر الصحاح الستة، ط1. بيروت:دار الكتب العلمية، 1988م.

□ **الكتاني، (عبد الحي).**

26- معجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تح: إحسان عباس، ط 1 بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982 م.

□ **المودودي، (أبو الأعلى، ت 1979م).**

27- موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، ترجمة: محمد كاظم سباق، ط1، باتنة: مكتبة الشهاب 1988م.

□ **الندوي، (أبو الحسن علي، ت1999م).**

28- رجال الفكر والدعوة في الإسلام (الإمام الدهلوي)، ط 1. الكويت: دار القلم 1985 م. ج4.

29- مقدمات أبي الحسن الندوي، إعداد سيد أحمد زكريا الغوري، ط1. دمشق: ابن كثير 2010م.

□ **الندوي، (مسعود).**

30- تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، ط1. بيروت: دار العربية (د، ت)،

□ **النعماني، (شبلي، ت).**

31- علم الكلام الجديد، ترجمة جلال السعيد حفناوي، ط1. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2012م.

□ **هوفمان، (مراد).**

32- رحلة إلى مكة، ط2. الرياض، مكتبة العبيكان 2002م.

سادسا- مقالات الدوريات:

□ **الفاروقي، (نثار أحمد).**

33- مجهودات الشاه ولي الله الدهلوي في التقريب بين المذاهب الإسلامية، مقال منشور في مجلة ثقافة الهند، المجلد 44، العدد 3-4، عام 1993م.

□ **لعجال، (طارق).**

34- تجارب التأصيل في الفكر الإسلامي بجنوب آسيا – تجربة الإمام الدهلوي أنموذجا- مقال منشور، في مجلة الإسلام في آسيا، الصادرة عن الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا – المجلد 05، العدد 02، شهر ديسمبر سنة 2008 م.

□ **الندوي، (محمد طاهر).**

35- الفكر القرآني في رسائل الإمام ولي الله، مقال منشور ضمن كتاب، شاه ولي الله دهلوي كي قرآني خدمات، ترتيب وجمع: بروفيسور محمد ياسين مظهر صديقي مع البروفيسور ظفر الإسلام، ط1. عليأكرا: منشورات إدارة علوم إسلامية 2013م.

□ **يوسف (محمد).**

36- الشاه ولي الله الدهلوي، موجز عن حياته وأفكاره، مقال منشور في مجلة دعوة الحق المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد 2، السنة 15، صفر 1972م.

"the gentle part in translating the weak servant" Shah Wali Allah Al-Dahlawi Translate, comment and study

Dr. Abdelwahab Farhat & Dr. Mohammed Chaudhary
aafrhat@kku.edu.sa mkshodari@kku.edu.sa
abdelouahabferhatlaroussi@gmail.com
King Khalid University-Abha - Saudi Arabia

Abstract:

Wali Allah Al-Dahlawi wrote a small translation in the Persian language about his autobiography, but it has abundant benefits, which he called "the gentle part in translating the weak servant", and given its importance we saw its Arabization to our dear readers with an extensive translation of Imam Al-Dahlawi, and a brief knowledge of his innovating exploits, Which is manifested in three axes:It is the field of reviving and reforming Islamic thought, and the field of renewing religious work, and the field of protecting the egg of Islam. We ask God Almighty to benefit all who rThis message derives its importance from two things: the first is the position of its author, who is the author of translation, he is one of the great flags of Muslims in the Indian subcontinent, and the second is from its subject because it contains references to the Shah's revamping program, and his reform plan to reform the existing conditions. In our introduction to this letter, we will try to shed light on both issues in some detail.ead it.

Key words:
Al-Dahlawi; renewing; reforming; Islamic thought.

Received:13/04/2020 □ **Accepted**:07/05/2020 □ **Published**: 01/06/2020